مجلة البيان – العدد 77 ، المحرم 1415هـ / يونيو 1994م

كلمة صغيرة

أعـلـنـت الإدارة الأمـريـكـيـة مؤخراً قائمة بالدول المتهمة بالإرهاب أو التي تدعمه وبغض الـنـظـر عـن مدى صحة أو عدم صحة الاتهام لتلك الدول، إلا أننا - ومعنا كل منصف -وبـنـظـرة مـوضـوعـيـة نـؤكـد أن ذلك الـتـصـنـيـف نـاقـص وغير موضوعي حيث لم يذكر فيه ما يلي:

1- دول غربية لها باع كبير في الإرهاب وعلى رأسها صربيا وكرواتياً.

2- العدو لصهيوني أكبر دولة إرهابية مسؤولة عـمـا يـتـعــرض له الشعب الفلسطيني من اضطهاد.

3- دول عربية لا يكاد يمر يوم إلا ويقـتل رجال الأمن فيه أفــــرادا من شعوبها ، ولا يمر شهر دون أن تعلق الرقاب فيها ظلماً وعدوانا!

4- دول أخـــرى تمــارس الإرهاب ضد المسلمين مثل الهند وبورما والـفـلـبـيـن وتـايـلانـد وطاجكستان!

إنـنـا نعلم أن حـقـد الـغـــرب وعداوته لأمتنا وديننا لن يجتمع مع العدل في سلة واحدة، وستظل قائمة الإرهاب تلك يداً تهز سنوياَ أكتاف المخدوعين بعدالة الغرب!

وستبقى القائمة نفسها نـاقـصــة يخرج منه كل إرهابي حقيقي مادام إرهابه لا يختلف مع سياسات ذوي العيون الزرق ومصالحهم من جهة أخرى؟!

الافـتـتـاحـيـة

ولكنه ضحك كالبكاء!

شهور طويلة متتابعة منذ مسرح مـدريــد حـيـن انكمش الزعيم وتقبل صفعات الأسياد بكل امتنان ، إلى احتفال واشنطن حيث كان يتنفس نـسـمــــات الفرح ويرش الابتسامات يميناً وشمالاً ، وحتى لحظات العبوس وقسمات الذل التي حمـلـتـهـــا عدسات المصورين في لقاء التوقيع الأخير في القاهرة. هذه الشهور الطويلة كانت عند صناع الحدث ضرورية للغاية كي تكسر باباً نسيجه الدماء والأشلاء ، يغذيه نزيف عمره نصف قرن ، وذاكرة تاريخية تمتد جذورها إلى متون أربعة عشر قرناً من حركة التاريخ ، حيث تتخللها صفحات عديدة سود ، تحكي عن حقد ممتد من خيانات بني قريظة وحتى كيد بني جنسهم من »يهود« الدونمة ، ويوقد جذوة ذلك كله آيات الكتاب المتلوة إلى قيام الساعة.

لقد كان هذا جميعه سداً منتصباً واقفاً، يـمـنــع عـابــدي ذواتهم وعروشهم من الولوج إلى الحضن الإسرائيلي ، وتوقيع صكوك البيع بلا ثمن ، الذي قال عنه شاعر عربي يوماً :

ترقى العار من بيع إلى بيـع بلا ثمن!
ومن مستعمر غــاز إلى مستعمر وطني!

لقد بدأ البيع بثمن بخس في »كامب ديفيد« حين ابتلعت ثمنَه »القططُ السـمـان« سريعاً ، وكان من بعض آثاره التنموية أن يعم رفاه العيش تحت مستوى الفقر! أكثر من 50 % من الشعب المصري ، ويستوطن المقابر مليونان ممن أدركهم الرفاه! واليوم انتهى القوم إلى بيع بلا ثمن في القاهرة.. بلى كان الثمن توكيلاً رسمياً لمستعمر وطني قادم ، سيطلق رصاصاً حياً بالنيابة عن جيش إسرائيل وسيُنشِئ دولة شرطة خالصة ، تضيف رقماً جديداً في سجل عام اسمه »الدولة ضد الأمة« وشعاره »إذا اختلف رأي الشعب مع حماقات الدولة وخياناتها فلا بد من تغيير.. الشعب«!.

ومع ذلك فليس ما تم إلا نموذجاً مُـجـسّـداً لما هو قادم ، حين تنتقل »الدولة« في المنطقة من دور الممانعة السلبية للعدو الإسرائيلي إلـى دور الشريك الأمني والاقتصادي ، الذي يقوم بمهمته في قمع الأمة ، وتجفيف منابع هـويـتـهـا الحقيقية كي تموت روح المقاومة فيها ، وتقبل بعيش العبيد في ظل العصر الإسرائيلي الـمـرتقب ، وستنتصب بالنيابة عن الصديق اليهودي في إنهاك كل عناصر الممانعة وتفكيكها والـقـيــام بدور الوكيل الأمني فـي »صراع الحضارات« القادم!.

وكما تم سحق محاولات الشعوب لاستعادة هويتها الإسلامـيـة زمن الحرب ثم المقاطعة من بعد باسم التفرغ لمواجهة إسرائيل ، ومن خلال لغة: »لا صــــوت يعلو فوق صوت المعركة« ؛ فإن الزمن القادم ينذر بوحشية أشد وإرهاب أعتى تمارسه الدولة ضد الأمة ، ولكن تحت لافتة جديدة وباسم: »لا صوت يعلو فوق صوت السلام«! ، ولا عجب فقد لحقت الحظيرة كلها بالثور الهارب الذي شجبت هربه في الأزمنة الخوالي!.

وها هي أقلام »مرتزقة السلام« تحدثنا عن انفراج الصراع ، بل يطالبنا بعضها بالتخلي عن الحقد والبغضاء! والنظر إلى الآخر »الإسرائيلي« بعين الرضا العمياء ، ولم لا؟! أليس شقيقَنا القادم في أسرتنا الجديدة »الشرق أوسطية«؟!

غـيـر أن »الشقيق« لا يقبل المنطق نفسه ، بل يزرع عيون السخط في كل زاوية ، ومـن بـيــن مطامـعـــه التي يسعى إليها بجد في الحقبة القادمة ما صرح بـه »رابين« أمام أركان اللوبي اليهودي فـي أمـريكا حول ضرورة تحويل الـ 20 دولة عربية إلى 40 دولة على الأقل في غضون السنوات العشر الآتية. هذا الحلم.. يسـعـى »الشقيق« إلى تنفيذه على الأرض بدءاً من جنوب السودان حيث يدعم التمرد النصراني بكمـيـات من صواريخ »ستنجر« ،

ويستقبل بعض قوات »قرنق« لتدريبها في إسرائيل ، ومروراً بالجــزائر حيث اكتشفت شحنة من الأسلـحــة مرسلة من إسرائيل في طريقها إلى الحزب البربري الأمازيغي الذي يدعو الناس إلى حـمــل السلاح ومقاتلة دعاة الإسلام في الجزائر ، وحتى تمويل الدراسات والمؤتمرات التي تنبش عن الأقليات العرقية والدينية في أرجاء العالم العربي ، وتؤجج فيها نوازع الانفصال باســم الدفاع عن حقوقها المهضومة!!

إنه بعض من »السلام« الذي لـم يـكــن يعـنـي في قاموس »يهود« إلا »السام«! أما اللام الـزائـدة فحسبها أن تكون طلاءً يخفي عورة الـعـصــر الإسرائيلي القادم ويعطي لأبناء سـلـول وابن العلقمي فسحة في الترويج لبضاعة الوهم ، وأحلام السراب عند أبناء أمتهم ، حتى وهـم يرقصون على دماء الضحايا وأشلاء المصلين!.. وبنو »يهود« هناك يطّاير بهم الفرح لما حقـقوه من سلام تحرسه قوتهم النووية ، ومستـعــمــرون بالنيابة يغسلون أذى التطرف من طريــق الهيمنة الإسرائيلية وأسواق تصدر خاماتها إلى »الشقيق« القادم بثمن بخس ، ومن ثم تستورد بقيمة الألف طن من خاماتها ما يعادل طناً واحداً تم »تعميده« في مصانع إسرائيل!.

ماذا بقي للأمة إذن؟! لقد بقي لها الكثير ، بـقــي لـهـا أولو الأمر من علمائها الربانيين ، وذوي الرأي من صالحيها المدعوين إلى جمع أمورهم ، فلا تكون شتى وأمر العدو مجتمع ، وإلى وعي الكيد ، فلا يكونون غائبين وعيون العدو تتقد بـشــــرر اليقظة والمكر ، وإلى أن يكونوا فاعلين قادرين على المبادرة ، فلا يقعد بهم اليأس وبين أيديهم بشارة الله بالتمكين ولو بعد حين.

ثم يبقى من بعدُ دور الأمة كلها في الخروج من ربقة الغفلة ، وإســـار الخوف ، وقـيــود الشهوات.. أما الصراع فسيظل بعد ذلك وقبله صراع وجود لا يلغيه زمن السلام الـمـمـتد ، ولا عقود القران الاحتفالية المعلنة بين كفر أبي جهل ونفاق ابن سلـــول وتـسـيّد حيي بن أخطب!.. حتى وإن توالت توقيعات عابدي الذوات ، وشهد عليها عمالقة القوة العسكرية في العالم.

محاضرات إسلامية

فـقـه النوازل والواقعات
دليل على ارتباط الفقه بالحياة
- 1 -

د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ

فضيلة الدكتور عبد العزيز القارئ أحـد العلماء المعروفين عقيدة وعلماً ومنهجاً ، وهو عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية في الـمـديـنة المنورة ، وله العديد من الدراسات العلمية الجادة. وقد اخترنا له هذه المحاضرة المهمة

فـي بابـهـا مع تصرف بسيط يقتضيه مقام أن تكون مقروءة ، وقد أذن لنا فضيلته بذلك ونأمل من فضيلته المساهمة في هذه المجلة ببعض دراساته ومقالاته العلمية التي هي محل اهتمام ومتابعة الكثير من القراء.
- الـبـيـان -
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحــده لا شــريـك لــه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. أما بعد:
فقه النوازل والواقعات أحد موضوعات الساعة أبدأه بقول الرب عز وجل: ((يؤتي الحكمة مــن يـشـــاء ومـــن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذَّكر إلا أولو الألباب)) [سورة البقرة:269] ، قال مجاهد رحمه الله : »الحكمة: العلم والفقه والقرآن« ، وقال الإمام مالك رحمه الله : »وقع فـي قلبي أنه الفـقــه في الدين« ، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها)(1) ، ويدل علـيـه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)(2) ، فالخير كل الخير في الفقه في الدين ، ومن أوتي الفقه فحري به أن يعرف كتاب الله عز وجل ، وأن يعرف سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، وأن يَذّكر فإن التذكّر من شيم أهل العلم والفـقـه والفـهـم ، والفقه هو الفهم: فهم مرامي الكلام ومرادات الحديث ، قال تعالى في ذم المنافقين: ((فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً)) [سورة النساء:78]، وقال سبحانه وتعالى منبهاً المؤمنين: ((قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)) [سورة الأنعام].
فهذا القـرآن قــــد أحكمت وفصلت آياتـه ، وهذه سـنة النبي -صلى الله عليه وسلم- قد ثبتت ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولا يفقهون ، فكم من مرتل لآيات القرآن الكريم لا يفقه كثيراً مما يُرتل ، وكم من حـافظ لحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يفقه ما يحفظ والفقه مراتب، والفقهاء مراتب بعضهم أفقه من بعض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)(3).
وأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم أصدق هذه الأمة إيماناً وأنقاها قلوباً وأغزرها علماً كانوا يتفـاوتــون في الفقه ، وهم في الجملة رضوان الله عليهم أفقه ممن جاء بعدهم ، يقول مسروق رحمـــه الله: »جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا كالإخاذ جمع إخاذة ، والإخاذة الغدير يقول: الإخاذة تروي الراكب والإخاذة تروي الراكبين ، والإخاذة تروي العشرة والإخاذة لو نزل بها أهل الأرض جميعاً لأصدرتهم« ، وكان عبد الله من هذه الإخاذ ، يعنـي عـبـد الله بن مـسـعـود رضي الله عنه ، أي من تلك الإخاذ التي تروي أهل الأرض جميعاً لو نزلوا بها ، وقـــال أيضاً: شاممت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: عـلــي وابن مسعود

وعمر وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي بن كعب ، ثم وجدت علم هـؤلاء السـتة انتهى إلى اثنين: إلى علي وعبد الله بن مسـعود »فالفقه درجات والله سبحانه وتعالى يؤتي الحكمة من يشاء.
والمقصود من هذه المقدمة حث شباب الصحوة على العناية بالفقه في الدين ، فإن الفقه هو الواجب وما عداه من العلوم أكثره نافلة.

حقيقة الفقه:

الفقه في الدين بنوعيه فـقـه العقيدة وفقه الأحكـــام هذا هو الواجب وما عداه من العلوم أكثره نافلة. قال تعالى: ((فلولا نفر من كل فرقة مـنـهـم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)) [سورة التوبــة:122] ، فـهــذه الآية دلت على مسألتين أولاهما: أن الناس جميعاً بأمس الحاجة إلى الفقه لقوله (لينذروا قومهم إذا رجعوا إلـيـهـم) ، فإذاً كل قوم هم بأمس الحاجة إلى فقهاء في الدين يبينون لهم ويـنـذرونـهــم ، والأخــــرى: أنه ينبغي أو يجب أن يَنْتَدب أناسٌ أنفسهم ، أو يُنْتَدَبُونَ للتفقه في الدين وبقصد أن يعلّموا غيرهم (لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) ، فالتفقه بقصد تعليم الآخرين واجب كفائي بدليل أول الآية وهو قوله تعالى: ((وما كان المؤمنون لينفروا كافة)) ، فالتفقه بذلك القصد واجب كفائي ، أما التفقه بقصد معرفة الأحكام للامتثال فهذا واجب عيني على كل مسلم بقدر طاقته ووسعه.

وقفة مع ظاهرة جديدة:

أقول هــــذا ونـحــن نـشـاهــد أبناء الصحوة المباركة قد انشغلوا عن الفقه بعلوم الصناعة الحديثية، مــن مصطلح وأسـانـيــد وتخـريـــج وعلم رجال ونحو ذلك ، ولا شك أن علم الصناعة الحديـثـيـة علم شريف جليل الشأن والـمـقــدار ، ولكنه من علوم الخواص ليس الخواص بالمعني الصـوفـي حاشا وكلا التي لا يشتغل بهـــا العوام ولا صغار طلبة العلم ولا المبتدئون ، فإذا اشتغلوا بها عن الفقه فإنهم في الغالب يَضلّون ويُضلون ، فلابد من التفقه قبل ذلك ، وبخاصة أنه واجب قبل الاشتغال بمثل هذه العلوم على شرفها وقدرها ، وهذا ليس تقليلاً من قيمتها أبداً لكنني أشفق على المبتدئين من تبعتها، فــالأمــــــور مـرتـبـة والواجبات مرتبة ، فالفقه أولاً في العقيدة وفي الأحكام الشرعية ، ومن نتائج الخوض في غير الأولويات أننا نشاهــد نوعـاً من الفوضى الفكرية تتخلل هذه الصحوة المباركة ، وإن كانت لن تؤثر فيها إن شاء الله.
نشاهد مثلاً أقواماً وإن كانوا قلة اشتغلوا بالجرح والتعديل لا لنصرة الدين ولا للذب عن السنة النبوية ، وإنما لزرع الشقاق بين أبناء العقيدة الواحدة.
ونرى أقواماً حملوا أختاماً يختمون بها على ظهور المسلمين ولا يتورعون في إصدار الأحكام مع قلة بضاعتهم ، وغلبة الأهواء عليهم.

نعود إلى مقصودنا وهو الفقه ، فمقصودنا بالفقه اليوم تحت هذا العنوان المذكور سلفاً ، هو ما قاله العلماء في تعريفه أنه: »الأحـكــام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية« ، أي فقه الأحكام.
والـمــراد بالأدلة التفصيلية كما يعرف غـالــب المتفقهين: الكتاب والـسنة فهما المصدران الأساسـيـان ، ويلحق بهما الإجماع والقياس فــإن لهما قوة إثبات الأحكام باعتبار أنهما يستندان إلى دلالات المصدرين الأساسيين: الكـتـاب والسنة، ثم يأتي بعد ذلك الاجتهاد، والاجتهاد أوسع مدلولاً من القياس فإنه قد ينحل إلى قياس سواء أكان جلياً أو خفياً ، أو ينحل إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المعروفة عند العلماء كالاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع ونحو ذلك ، وهذه الأنواع وإن كانت لم تعـرف بهذه المسميات في جيل الصحابة لكنها مقتبسة ومستنبطة من فتاويهم واجتهاداتهم ، فمعانيها متشبعة بها عقولهم مغروسة في نفوسهم وملموسة من فتاويهم رضوان الله عليهم أجمعين.

مسألة مهمـة حول الاجتهاد:

ولأن نصوص الكتاب والسنة محدودة والنوازل والوقائع والحوادث غير محدودة ، فمن هنا تأتي أهمية الاجتهاد.
وهنا مسألة لا بد من التنبيه عليها، وهي أن الاجتهاد في حقيقة الأمر ليس تشريعاً،بمعنى أنه ليس منشئاً للحكم ، لكنه مظهر له، فالاجتهاد فهم لنصوص الكتاب والسـنـــة، أو إظهار لحكم مسألة لم يجد فيها المجتهد نصاً فيجتهد فـي استخراج الحكم الشرعي لها بفهم نصوص المصدرين الأساسيين ولذلك كما سيأتي فـإنــه مقيد بأن يكون ضمن القـواعد الكلية والأصول والضوابط الشرعية المستنبطة من الكتاب والــسـنـة ، وأن يكون بواسطـة إحدى دلالات الكتاب أو السنة المعتبرة لدى العلماء ، وذلك الاجتهاد حث عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه والأمة من بعده ، بل ودرب أصحـابـــه عليه ، وأشرف عليهم مصوباً ومقوماً ، فمثلاً قال -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جـبـــل وهو واحد من أشهر وأفقه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما أرسله إلى اليمـــن ، (قال له: ماذا تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال معاذ: أحكم بما في كتاب الله ، فقال : فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال أحكم بما في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو ، قال معاذ: فضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صدري بيده وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لـمــا يرضي الله ورسـولـــه)، وقد تكلم بعضهم في سند هذا الحديث من جهة الجهالة في بـعــض أصحاب معاذ، ولـكـنـهــا جهالة لا تضر ، فقد روي موصولاً من طرق أخرى ومن أراد التفـصـيـل فليراجع »أعلام الموقعين«.
وهكذا سن النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه وللأمة من بعده منهج الاجتهاد ، بل درّب أصحابه على الاجتهاد وأشرف عليهم ، وقد اجتهدوا مثلاً بين

يديه في فهم أمره صلى الله عليه وسلم:(ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)(4) في غزوة بني قريظة، وكـان اختلافهم مؤثراً فبعضهم صلاها في وقتها في الطريق وبعضهم أخرها وصلاها في بني قريظة ولم يكن اختلافهم في هذا الأمر لفظياً كما يقال في بعض الاختلافات ، ومع ذلك سكت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الفريقين ، ولم ينكر على أي منهما ، فقلنا بذلك: إن من أدب الاختلاف أن لا ينكر أحد المجتهدين على صاحبه إذا كان النص محتملاً لفهمين ، نعم قد يكون أحد الفهمين أرجح أو أصوب ، ومع ذلك مادام ظاهر النص يحتمل الوجهين ، فلا يجوز أن ينكر أحد المجتهدين على صاحبه ، لكن عندما يشتط الفهم بمجتهد إلى فهم بعيد عن النص ، فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصوب له فهمه ، وقد يلومه بأسلوب لطيف كما حدث مع عدي بن حاتم رضي الله عنه لما وضع خيطين أسود وأبيض تحت وسادته يفسر بذلك قول الله عز وجل: ((وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر))[سورة البقرة: 187]، فقال له النبي: »إن وسادك إذاً لعريض)(5).
فالاجتهاد إذاً مهم جداً، وعظيم الأثر في حياة الناس ، وعظيم الأثر في بيان الأحكام الشرعية ، لكنه يحتاج إلى ذكاء وإلى قريحة فقهية قوية ، وإلى فراسة وإلى فهم للواقع وإدراك للوقائع.. فمن لم يفهم الواقع ولم يدرك الوقائع وإن فهم الحكم قد يعجز عن التطبيق ، فالفقه في حقيقة الأمر في مجال الأحكام الشرعية فقه للحكم الشرعي وفقه للتطبيق ، وكان من أفقه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في التطبيق عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين ، هؤلاء كانوا أفقه وأبرز الصحابة في الفقه بعامة وفي فقه التطبيق بخاصة.

هذا هو فقه التطبيق:

وحتى نفهم فقه التطبيق إليكم هذه الواقعة ، التي هي من أوضح الأمثلة على فقه التطبيق، واقعة تسمى واقعة (زبية الأسد) ، وقعت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن: روى الإمام أحمد في مسنده(6) عن حنش بن المعتمر قال: بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن ، فانتهينا إلى قوم قد بنوا »زبية« للأسد ، فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل ، فتعلق بآخر ، ثم تعلق رجل بآخر ، حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد، فانتدب له رجل بحربة فقتله، وماتوا من جراحهم كلهم ، فقاموا ، أولياء الأول إلى أولياء الآخر فأخرجوا السلاح ليقتتلوا ، فأتاهم علي على تفيئة ذلك ، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- حي؟!إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- فيكون هو الذي يقضي بينكم فمن عدا بعد ذلك فلا حق له ، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة ،

للأول الـربـع ، لأنه هلك من فوقه وللثاني ثلث الدية ، وللثالث نصف الدية ، فأبوا أن يرضوا ، فـأتــوا النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو عند مقام إبراهيم ، فقصوا عليه القصة ، فقال: أنا أقضي بينكم ، واحتبى فقال رجل من القوم: إن علياً قضى فينا ، فقصوا عليه القصة ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد حكم علي رضي الله عنه في تلك النازلة بفقه عجيب دقيق:
للأول ربع الدية ؛ لأن ديته حسم منها ديـة الثلاثة الذين تسبب في قتلهم لأنه لما تعلق برجل وتعلق الرجل برجل وتعلق ذاك برجـل، وقع الثلاثة بسببه في الحفرة فحسم من ديته نصيب الثلاثة وبقي له الربع،والثاني تسبب في قتل اثنين فبقي له الثلث والثالث تسبب في قتل واحد فبقي من ديته النصف ، والرابع لم يتسبب في قتل أحد فاستحق الديّة كاملة.
هل هناك مثال أوضح من هذا المثال فـي فـقـه الـتـطـبيق على أهمية معرفة الوقائع ومعرفة الواقع حتى ينجح المجتهد في التطبيق؟!
ولما تعلم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الفقه في مدرسة النبوة بإشراف النبي -صلى الله عليه وسلم- ، واجهوا النــوازل والحوادث والواقـعــات المستجدة بعقلية فقهية راقية وممتازة تدل ليس فقط على عـلـم بكتاب الله عز وجل وسنة النبيص وعلم بأحكام الشريعة فحسب ، بل تدل عـلى بـصـر نافذ وبصيرة ممتازة بواقع الـحـيـــاة الذي كانوا يعيشونه، وبحقـيقـة الوقـائـع التي كانوا يواجهونها فبصرهم في ذلك بصر نافذ وبصيرتهم صحيحة، ولذلك برعوا رضـــوان الله عليهم أجمعين في فقه التطبيق مؤسساً على معرفة الواقع وكيف يطبق الفقه عليه ، وإدراك لحقيقة الوقائع وكيف يستخرج الحكم لها.

فقه الصحابة ومعرفتهم بالواقع:

قـبــل أن أسوق بعض الأمثلة من فقه الصحابة بالوقائع والنازلات التي استجدت عندهم، أمهد بهذه الحقيقة وهي أن الفقه مرتبط بالحياة بل الشريعة نفسها مرتبطة بالحياة، لأننا في هذا الصدد وفي هذا المجال أمام أمرين: أمام شريعة منزلة وأمام فقه يمثل فهم العـلـماء والمجتهدين لهذه الشريعة، وكلاهما يكونان ثروة من الأحكام لا يستغني عنهما أحد أبدا، فالفـقـه مـرتـبط بالحياة. الحياة يجب أن ترتبط بالفقه ولا يزدهر الفقه إلا إذا كان مرتبطاً بالحياة، كـمـا أن الحياة لا تزدهر إلا إذا كانت تحت سلطة الفقه والفقهاء ، فأما إذا كان هناك خصام نكد بينهما فإنهما يفقدان الازدهار،فالفقه يصيبه الشلل وقد يموت كما حصل في عصور الجمود والانحطاط ، والحياة يصيبها الفساد، والمجتمع قد ينهار بل ينهار فعلاً ويتفكك ، فالارتباط بين الفقه وبين الحياة ارتباط وثيق... ثم حقيقة أخرى: وهي أن الفقه الإسلامي لا يؤتي ثمرته المرجوة إلا إذا كانت جـوانـب الـحـيـاة كلها مرتبطة به خاضعة لسلطته. في أي مجتمع إذا كانت هـنــاك جــوانب من الحياة أو بـعـض مـرافــق المجتمع خرجت عن سلطة الفقه ، فإن الفقه لا يؤتي ثمرتــه الـمرجوة ، كما

هو الحال الـيوم في أكثر مجتمعات المسلمين، إذ أن هناك جوانب من الحياة لا تخضع للفقه وبخاصة الجانب السياسي ، والإعلامي وفـي بعض المجتمعات لا يخضع التعـلـيـم أيـضـاً لـلـفـقـه ، فـــإذا خــرجت مثل هذه الجوانب الأساسية في المجتمع عن سلطة الفقه يفسد المجتمع ، ولكن الحقيقة الأخرى أن الفقه أيـضـــــاً ينقـص ولا يؤتي ثمرته المرجوة لأن الفقه لا يزدهر إلا بالتطبيق.

الفقه ليس نظريات فقط:

والفقه الإسلامي ليس مجرد نظريات ميتة في الكتب فقط كنظريات الفلاسفة ، بل هو فقه للحياة لأن الشريعة التي أنزلها الله عز وجل أنزلها قانوناً للحياة ، فالفقه يواكب الحياة دائما مرتبطاً بحركتها ، ويزدهر بهذا الارتـبــاط يزدهــر على أيدي القضاة وأيدي المفتين وأيدي المجتهدين الذين يتقون الله عز وجل في بيان الأحكام ، من أراد أن يتلمس أمثلة لهذا الازدهار في الكتب فليقرأ كتب النوازل وكتب الواقعات وكتب الفتاوى ، فعندما تقرأ مختصرالفتاوى أو مجموعها لشيخ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله لو قدر لك أن تقرأ هذا المجموع كله فإنك تقرأ حياة كامـلــة بكل نواحيها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية... بل حتى الجغرافـيـــة ، ففي بعض الأجزاء جـغـرف شيخ الإسلام ابن تيمية المناطق السياسية لـلـعـالـم الإســلامي في وقته ، ما رأيت أعجب من كتابته تلك في تصوير حالة العالم الإســـــلامي من الناحية العقدية والسياسية والاجتماعية في عصره: بين حال العـراق وحــــال الشام وحال الحجاز ، وغير ذلك من الأقطار. فهذا كتاب من الكتب إذا قــرأته ترى كيف يرتبط الفقه بالحياة ، كيف يواكب الفقه الحياة ، وفي عهد الصحابــة رضي الله عنهم كان الفقه مرتبطاً بالحياة بالواقع لو سميناه فقهاً واقعياً أو فقه الواقع بهذا المعنى ، لصحت هذه التسمية ، ما كان الفقهاء يفترضون مسألــة من المسائل أبداً بل كانت الواقعة تقع ، والنازلة تنزل فيسألون فتصدر الفتوى وإذا لم يـجــدوا نـصـــاً فـي الـنـازلة اجتهدوا في استخراج الحكم لها ، وربما كان الاجتهاد جماعياً .

وللحديث بقية...

الهـوامـش:

* انظر أعلام الموقعين ، ج1 ، ص154 ، تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم..

(1)البخاري ، كتاب العلم ، ج1 ، ص26 ، ح 15.

(2)البخاري ، كتاب العلم ، ج1 ، ص 25 ، ح10 ، 13.

(3)أبو داود ، كتاب العلم ، ج2 ، ص 696 ؛ صحيح أبي داود ، السلسلة الصحيحة ، ح404.

(4)البخاري ، كتاب المغازي ، ج7 ، ص 471 ، ح/4119.

(5)البخاري ، كتاب التفسير ؛ مسلم ، كتاب الصيام.

(6)مسند أحمد ، تحقيق أحمد شاكر ، ج1 ، حديث 573.

مـقـال

من عوارض الإخلاص:
عـبـادة الـذات

هـيـثـم الـحـداد

إن من أشد الأمراض فتكاً بالأفراد والجماعـات المسلمة ، انعدام الإخلاص ، بل يمكننا أن نقول: إنه سبب رئيس لتأخر النصر والتمكين ، وإنه السبب الرئيس كذلك لتفرق المسلمين وبعدهم عن الألفة والمحبة ووحدة الكلمة التي هي من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية.

ذلك أن عدم الإخلاص نوع من أنواع الشرك، فهو إشراك غير الله مع الله في نوع من أنواع العبادة ، وقد يكون هذا الشريك بشراً كما هو الحال في الرياء ، وقد يكون غير ذلك.

وتكمن الخطورة الشديدة لهذا المرض في عدة أسباب منها:

أن عدم الإخلاص محبط للعمل، فلا يجني الـعـامــل من عمله إلا الحسرة والندامة، قال تعالى: ((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً مـنـثــوراً)) (1) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب) (2) ، فبذلك يخسر الإنسان الخسران المبين.

كما أن عدم الإخلاص في كثير من الأحيان مرض خفي، بـل خـفـي جــداً: (إياكم وشرك السرائر ، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الرجــل إليه ، فذلك شرك السرائر) (3) ، وصاحبه قد لا يتفطن إلى أنه مصابٌ به ، بل إن صاحـبــه يظن أنه يحسن صنعاً ، وهو من الأخسرين أعمالاً .

ومــن أظـهـر عوارض الإخلاص وأشهرها الرياء الذي يمكن أن نُعرّفه: بأنه العمل لأجــل البشر ، وهـنــاك عارض آخر يطرأ على الإخلاص لا يقل خطورة عن سابقه وربما يكون قسيماً له لكن قل من يتفطن له وهو عبادة النفس بأن يعمل العامل العمل لأجل نفسه.

فالمرائي يعمل العمل لأجل أن يقول عنه الآخرون ما يحب من الثناء وصاحبنا يعمل لأجل أن يقول هو عن نفسه... لأجل أن يرضي نفسه، حتى يحقق الصفة التي يصفه الناس بها.

فهذا الإنسان يأخذ من الليل ، ويصوم الهواجر ، ويكثر من الصدقة ويحسن معاملة بعض الناس ، ويبذل من وقته وماله الكثير في الدعوة ، وقد ترى عليه

مسحة من الزهد متزيناً بالورع لأجل من؟ لأجل أنه فلان ابن فلان الداعيـــة أو المربي أو الشيخ ، لا لأجل الله وحده ، ولا لأجل أن يلقى ثواب ذلك عند الله.
قد يكون هذا غريباً لا يمكن تخيله ، ولكنه عند التأمل واقع ، وواقع وللأسف بين صفوف بعض المتصدين للدعوة وطائفة من المتعالمين ، ولكن كيف يمكن تشخيص هذا المرض؟
بادىء ذي بدء نقول: إن العلماء يعّرفون الإخلاص بعدة تعاريف منها: أن يستوي حال الإنسان في الظاهر والباطن ، فالمخلص لله وحده يعمل العمل سواء أرآه الناس أو لم يروه ، أكان له حظ من حظوظ الدنيا أو لم يكن له ، أكان له ميزة معينة أو لم تكن ، فليس له توجه إلا لله ، وليس له هم إلا الهرب من النار والفوز بالجنة ، فمهما تغيرت الظروف التي حوله فلن يزيد من عمله لأجلها وكذلك لن ينقص ، فالمخلص يعمل الطاعات سواء أكان هو فلاناً المربي أو الشيخ ، أو لم يكن (إن كان في الساقة فهو في الساقة ، وإن كان في الحراسة فهو في الحراسة) وهذا معيار لمن أراد الكشف عن وجود هذا المرض الخفي في نفسه.
ولا يظـن ظـان أن العمل الدعوي هو المعرض للإصابة بهذا المرض فقط بل إن كل أعمال الإنسان من دعوة وغيرها معرضة للإصابة بهذا المرض ، لأنه يغزو القلب الذي هو منبع الأعمال وأساسها ، فمتى ما أصيب القلب أثر ذلك على جميع أعمال الإنسان البدنية وغيرها ، حتى في عبادته الخاصة من صلاة وصيام وذكر ، فالمصاب بهذا المرض قد يؤدي كثيراً من العبادات ، وقد خلى قلبه من نية التعبد والتقرب إلى الله بها ، وحقيقة نيته وأصل دافعه لها أن هذه العبادات من صفات طالب العلم أو الداعية ، فلابد من الإتيان بها لأجل أن تكتمل صورة هذا الداعية أو طالب العلم أمام نفسه ، كمن حصل على منصب ديني ، فإنه يبدأ بالإتيان بلوازم هذا المنصب من عبادات وغيرها ، فمن عُيّنَ قاضياً مثلاً لا بد أن تكون هيئته هيئة طلبة العلم وسيماه سيماء العلماء ، فإن أتى ببعض السنن بناء على ذلك فإن دافعه ربما كان لتحقيق لوازم هذا المنصب لا نية التقرب إلى الله بتلك السنن.
قد يقول قائل إن ما تتحدث عنه أمر لا يكاد يعرف، بل قد لا يظهر لكل أحد ، فعلاجه من الصعوبة بمكان ، فلا داعي للدخول في هذه التفاصيل ولنأخذ الأمر بكل يسر وسهولة.
وجواباً على ذلك يقال: موضوع النيات موضوع خطير جداً ، إذ هو أساس قبول الأعمال وردها ، فهو أساس الفوز أو الخسران المبين ، أي أنه طريق الجنة أو النار ، والجميع مقرون بأن أمره شاق ، بل شاق جداً ، وكما قال سفيان الثوري: »ما عالجت شيئاً أشد من نيتي فإنها تتقلب علي« ، وعن يوسف بن أسباط أنه قال: »تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد« (4). وقد نقل عن بعض العلماء أنه قال: وددت أنه لو كان من

الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم ، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلا، فإنه ما أتي على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك(5).

وقد تكلم الأستاذ »عبدالجليل حسن« عن هذا المرض في لمحاته التربوية من السيرة النبوية ، وأجد من نسبة الفضل لأهله أن أقتطف من كلامه ما يناسب الموضوع وإن طال لأنه أجاد فيه وأفاد.

يقول: »ولمحتنا التربوية التي نشتمها مـن هـنـا هي التفرقة بين عبادة الله وحده الذي لا شريك له ، وبين عبادة أنا ، التفرقة بين الـحـــق الذي لا مرية فيه سواء أكان هذا الحق الذي أتى على يدي أو على يــد غيري ، سواء أكنت أنا فيه أو كان غيري ، وبين الحق الزائف الذي يـكــون فـيـــــه أنا وأنا فقط، فإن كان غيري فهي الردة والنكوص والهلاك والخسران، إنـهـا التفرقة بين عبادة الله وعبادة أنا ، أو بين عبادة الله وعبادة النفس من دون الله.

إن كثيراًـ جداً ممن ينتسبون إلى الدعوة الإسلامية اليوم يتعاملون مع الدعوة ورجالها بمنطق أبي عامر(6) ، فهو لا ينشط في دعـوتـــه إلا إذا كان هو صاحب الإمارة وصاحب المنزلة، صـاحب التوجيه، صاحب المـقـام في قلوب الخـلق هو القائل، وهو المتحدث، هو القائد... المهم أن يكون هو وهو فقط ، فإذا كان الأمر كذلك كان النشاط والحركة ، والدعوة والهمة العالية،العمل الدائب وربما يغلف كل ما سبق من عمل وحركة بشيء من التواضع، والزهد الزائفين فإذا اهتزت في نفس هذا النمط من الدعاة (أنـا) فـوجـــد نفسه نزل من موضع إلى موضع، أو سبقه مـن هـو دونـــــه، أو لم يحز ما ترنو إليه نفسه، انقلبت الأمور وهدأت الحركة، وانـطـفـــأت شعلة النشاط، وبردت جذوة الأمل، وانكفأ إلى بيته، وعلى أحسن الأحوال أخذ إجازة من الدعوة ، تنم عن غضب ومشاحنة ينطوي عليها الصدر، وقد يسوء الحال عن ذلك، فتكون الردة والنكوص عن الطريق كله ، بحجة أن الجماعة قد انحرفت عن خطها الصحيح ، وهو لا يرضى هذا الانحراف ، ثم يبدأ البحث كما يزعم عن طريق آخر فيه أنا وأنا فقط«.

»أخي الحبيب: إن لنا في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة ، فلابد لنا من وقفة صادقة مع النفس لتتوجه من جديد إلى الله ، إلى الله وحده لا شريك له ، إنه صفاء الابتداء، فـمـن خـانـــه ذلـك وكـــان في النفس شيء فليبدأ من جديد، بتوبة صادقة، ونية صادقة ، على ألا يكون في القلب والنفس إلا الله وحده لا شريك له ، إن كل ما سوى الله من غايات إنما هي أقذار وأوحال وعفن وعطب يصيب القلوب فَتَهْلَك وتُهْلِكْ، فيبعد النصر ويطول الطريق، فـمـن كـــــان يريد السير إلى الله عز وجل في دعوته المباركة فلا يتطلع إلى شيء، ولا يعمل بشرط أن يكون كذا وكذا ، ولا ينظر إلى تقدم أو تأخر ولا يرسم لهدف في النفس لا يعلمه إلا الله«.

" »إن السعادة والسداد والفوز في الدارين ، والتقدم والفلاح إنما هما في توجه النية دائماً إلى الله وحده لا شريك له، دونما التفات إلى ما سواه، ولو كنت ذَنَباً في الحق وأنت على ذلك خير لك من كونك أميراً مطاعاً ورأساً مرموقاً وأنت عـلـى غـيـر ذلك ((كل شـيء هـالك إلا وجهـه لـه الحـكم وإليـه ترجعـون)) (7)« "(8).

إذاً فـمــن أنـجــع أسـاليب عـلاج هـذا المرض والكشف عن الإصابة به المحاسبة والمراقبة الدائمتين، ليسأل الإنسان نفسه دائماً،ويفتش عن حقيقة دافعه للعمل أي عمل ولا يتسامح أو يتساهل مع نفسه، وبخاصة في أمر النية والباعث على العمل، إذ مدار الثواب والعقاب على صلاح النية وفسادها وليعلم أن معالجة أمر النية من أصعب وأدق الأمور كما تقدم.

لـكــن هنا ينبغي لنا أن ننبه على أمر قد يقع خلط بينه وبين ما نحن بـصـدده فقد يـفـعـل الإنسان أموراً لا يفعلها إلا لأجل أن الناس يقتدون به، ولـو لـم يـكــن في موضع القدوة لم يفعلها، وهذا أكثر ما يكون في باب التروك، وقد تحدث العلماء عن هذا فرغبوا لمن يقـتدى به أن يترك بعض الأمور خشية أن يعتقد الناس فيها ما ليس بصحيح.

وما نحن فيه ليس من هذا الباب وإن كان الفرق بينهما دقيقاً ، فمن يقـتدى بـه ، إذا فعل أو ترك أمراً كي يقتدي به الناس فعلاً أو تركاً إنما يفعل ذلك حتى لا يكون هو سبباً لوقوع الناس في الـحــرام ، أو سبباً لترك الناس المستحب أو الواجب فيعاقبه الله على ذلك كما يعاقب فاعل المحرم ، إذ الوسائل لها أحكام الغايات.

فـالـغـايــة النهائية لمثل هذا هي الدلالة على الخير لأنه سبب لمرضاة الله ونـيـل ثـوابــه، والتحذير من الشر، لأنه من أسباب سخطه ونيل عقابه.

لكن صاحبنا الذي سبق الكلام عنه هنا لم يـنـظـــر إلى الآخرة، ولا إلى الثواب أو العقاب، وإنما غايته النهائية تحقيق منزلته عند الناس.

وكذلك نيته هنا إلي الـفـرق بين الشعور بالمسؤولية إذا ألقيت على الإنسان ومن ثم النهوض بأعبائها، وبـيـن هذا الـذي نتحدث عنه، فعمر بن عبدالعزيز كان غاية في التنعم والترفه، حتى إذا ولي أمر المسلـمـين أبدل غاية ما فيه من تنعم وترفه بغاية الزهد والتقشف، فالفرق كبير، فإن الذي دفع عمر بن عبدالعزيز لذلك القيام بالمسؤولية التي امتحنه الله بها، ذلك أن القيام بها كما أراد الله يستلزم انشغالاً بمصالح المسلمين عن مصالح نفسه،وورعاً في المال الذي وكله الله عليه، وعـبادة يستعين بها علـى القيام بأعباء هذا الواجب الثقيل،فمقصده النهائي طلب مرضاة الله بالنهوض بما أوجـبـــه الله عليه ، والقيام به على أتم وجه.

فإذا حُمّل أحد من الناس أعباء أو تكاليف منصب ما ، فالواجب أن يـبــذل غـايــة ما في وسعه للقيام بهذا الواجب الذي تحتم عليه ، فما من شك أن ما أوجبه الله عز وجل على من يتحمل أمراً من أمور المسلمين ، ليس كما

أوجبه على آحاد المسلمين ، وعليه فلابد أن يكون عمل ونشاط وحركة الأول أكـثـر من عمل ونشاط وحركة الثاني بكثير ، إذ لا يتم له القيام بذلك الواجـب إلا بهــذا الكم مـن العمل والحركة ، فعلى كليهما أن يقوم بواجباته طلباً لمرضاة الله ، وتخلصاً من إثم الإخلال بحقوق الله وحقوق الناس.
إخـواني الـدعاة وطلبة العلم: إن أخشى ما أخشاه على أنفسنا أن نأتي يوم القيامة، وقــد أخذ كل مكـانــه من الجنة بمن فيهم من كنا نظن أنه أقل رتبة منا ، ثم لا نجد مكانا لنا لأننا لم نمهد لـهــذا المكان بعملنا ، ولم يكن الهرب من النار وطلب مرضاة الله حادينا إلى العمل، بل كانت دوافعنا إما حزبية من باب تكثير الأتباع ، أو من أجل التصدر ، أو غير ذلك، فالله الله في أنفـسـنا وفي قلوبنا ولندعُ الله أن يجعل همنا في أعمالنا الصالحة التقرب إليه إنه سميع مجيب.

الهـوامـش:

(1)سورة الفرقان: 33.
(2)رواه ابن ماجة ، وهو صحيح ، صحيح الجامع 3488.
(3)رواه ابن خزيمة في صحيحه.
(4)جامع العلوم والحكم ، ص 1009 ، طبع مصر.
(5)عن مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ، ص 5.
(6)أبو عامر هو عبد بن صيفي بن النعمان، وهو والد أبي حنظلة غسيل الملائكة، وكان أبو عامر ترهب في الجاهلية وكان يقال له أبو عامر الراهب لكثرة عـبـادتــه، وكان سبب ترهبه أنه سمع بأن زمانه زمان نبي فأراد أن يهيء نفسه للرسالة، لمحات تربوية من السيرة النبوية، ص 8؛ وانظر السيرة النبوية لابن هشام، 584586، طبع مصر.
(7)سورة القصص:88.
(8)لمحات تربوية من السيرة النبوية ، ص 810.

دراسات في الدعوة

حتى لا يتوقف عطاء الدعاة

فـيـصـل الـبـعـدانـي

يشاهد المطلع على أحوال الدعاة إلى الله تعالى ممن يعانون من الفقر وقلة ذات اليد وهم كثر في عالمنا الإسلامي ظاهرة انتكاس بعـضـهـم عـــن الطريق ووجود فتور كبير لدى عدد ليس بالقليل منهم.
ونظراً لخطورة هذه الظاهرة على مسيرة العمل الـدعـــوي ، ومـا تدل عليه من ضعف الثقة بالله عز وجل ، وعدم الرضا بالقضاء والقدر ، بالإضافـة إلى الجهل بسنن الله عز وجل في المنع والإعطاء... بادرت مستعيناً بالله تعالى في كتابة هذه السطور محاولاً إلقاء الضوء عليها ، راجياً أن تتضح الرؤية

لأولئك فيعود من ضاع منه الطريق ، ويقـوى على السير من لبث في مكانه وفتر عزمه ولم يواصل المضي ، عسى أن تكون كلماتي عامل تقوية وتثبيت لبعض من تتحرش بهم شياطين الجن والإنس ، وتكاد ضغوط المعاناة وشدة الواقع أن تأتي عليهم ، فتقعدهم عن مواصلة المسيرفي سبيل الدعوة إلى الله.
وسيكون الحديث بالأصالة متجهاً إلى من يعيش الأزمة ويكتوي بنارهــــا كما أن جزءاً منه سيكون موجهاً لإخوانهم الموسرين الذين يشاطرونهم حمل هم هذا الدين ، وهم على معرفة بأحوالهم وشدة معاناتهم.

من تلك حاله كيف يصنع؟

وبما أن الأمر في ذلك وارد على كل داعية إلى الله ، فلابد أن يوطن الداعـيـة نفـســه على الآتي:
1- أن يتذكر أن الله يبتلي عباده بالغنى والفقر ، فيوسع على بعضهم في الرزق ، ويهبهم من عظيم خيراته الشيء الكثير ؛ لكي يقوموا بواجب الحمد والشكر له ، ويمنع سبحانه بعضهم من تلك السعة ، ويقدر عليهم رزقه؛ لكي يقوموا بواجب الصبر وكمال الرضــى ، فيوفق للحمد والشكر من الأغنياء فريق ، ويتجبر الفريق الآخر منهم ويطغى كما قال تعالى ((كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى))[العلق: 56] كذلك حال الفقراء حيث يوفــق للصبر والتسليم والرضى بالقضاء طائفة منهم ، وتتجه الأخرى إلى التسخط والجزع ، بل وربما إلى ممارسة كسب المال من طرق غير مشروعة.
2- مـعـرفـــة أن الله عز وجل قد تكفّل برزق الخلائق كما قال تعالى: ((وما من دابة فـي الأرض إلا على الله رزقها)) [هود: 6] ، وما تكفل الله به فلا خوف من تأخره أو ضياعه وعدم وصوله ؛ ولهذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه الذين تعرضوا له بالمسألة رجاء التوسعة عليهم: »... فو الله ما الفقر أخشى عليكم... (1) ، وهذا راجع إلى كمال اطمئنانه وعظيم ثقتـه بموعود ربـه ، ويقينـه التام بأن ما قـدره الله للعبـد من رزق فهو آتيـه لا محالة.
3- العلم بأن لهذا الابتلاء فوائد جـَمـة متى استطاع المرء تحقيقها تحول الأمر في حقه من محنة إلى منحة ، ومن نقمة إلى نعمة ، ومن تلك الفوائد:
*أن العبد بـصـبــره على الابتلاء ينال ما ذكره تعالى في سورة البقرة في قوله: ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون))[البقرة: 155-157].
*أن العبد المبتلى بذلك يتقلب بين مقامات العبودية المختلفة من صبر وتسليم ورضا وتوكل ورجاء وورع ولجوء وتضرع وسكينة وثقة... إلى غير ذلك من المقامات العالية لذلك التي قد يحرمها لو لم يُصَب بذلك.

بالإضافة إلى الـمـقـامـات الأخرى من حمد وشكر وإحسان إلى الآخرين... الى غير ذلك مما يناسب النعم التي أعـطـيـهـا العبد كنعم الإيمان والصحة والأخلاق الحميدة والاشتغال بما ينفع في الآخرة... الخ.
*أن من ابتلي بذلك من الدعاة وصبر يصلب عوده ويقوى ويصبح أكثر قدرة على الثبات في مواجهة المحن والأزمات(2) ، وبخاصة إذا كان السبب المباشر لمعاناته من الفقر وقلة ذات اليد تَمَسّكُه بدينه وثباته على دعوته وقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
*أن المصيبة والابتلاء في الدنـيـا لا فـي الـدين ، ومن عرف حقيقة الدنيا والدين وابتلي وكانت مصيبته في دنياه ، عرف أنه قد سلم وعوفي وأن واجبه الشكر والثناء لا السخط وعدم الرضا(3).
*أن كل مصيبة سببها المعاصي والذنوب كـمــا قـال تعالى: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم))[الشورى: 30] ، والمصائب والبلايا تُكَفّر الذنوب ، ولولا رحمة الله تعالى بإيقاعها عليه في الدنيا لأجلت عقوبة ما اقترف من ذنوب الى الآخرة ، وعقوبة الآخرة ليست كعقوبة الدنيا مهما عظمت وجلّت ، وعند ذلك يجب في حق العبد الشكر والثناء على الله تعالى.
*أن المصيبة واقعة لا محالة لكونها مكتوبة على العبد ، قال صلى الله عليه وسلم: (وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يـكــن ليصيبك)(4) وكونها قد وقعت فقد استراح منها إن انتهت ومن بعضها إن بقيت وهذه نعـمــة وتـوفـيــق وفـضـل مـن الباري سبحانه(5).
4- استشعار حقيقة الدنيا والآخرة والنظر في النصوص الكثيرة من قرآن وسنة التي تزهد في الدنيا ، وتخبر بمصيرها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها وشدة فتنتها من جهة ، وتُرغّب في الآخرة وتخبر بشرفها ودوامها ومن ذلك قوله تعالى: ((قل متاع الدنيا قليل والآخــرة خيـر لـمن اتقى)) [النساء: 77] ، وقوله عز وجل: ((بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبـقـى))[الأعلى: 16،17] ، وقـولـــه سـبـحـانـه: ((ما عندكم ينفذ وما عند الله باق))[النحل: 96] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) »(6) ، وقوله صـلـى الله عليه وسلم: (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم)(7).
قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام له جميل حول هذا الموضوع: »... فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار«(8).
5- إدراك أن الدنيا لا يقوم عليها ميزان التفاضل في الــدار الآخرة ، بل ذلك يقوم على التقوى فمن أكرمه الله وفقه لطاعته والإيمان به ومحبته ومـعـرفـتـه والدعوة إليه وتحمل الأذى في سبيله ، ومن أهانه سلبه ذلك قال يحيى بن معاذ رحمه الله : »لا يوزن غداً الفقر والغنى وإنما يوزن الصبر والشكر«(9) ، وقال ابن القيم رحمه الله ناقــلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية:

»ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى ، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة«(10).
وبالتالي فلا غضاضة على العبد أن يكون فقيراً في هذه الدنيا إذا كان الفقر لا يعني دناءة المنزلة عند الله عز وجل ، بل إن لله أولياء من خلقه شعثاً غبراً مدفوعين في الأبواب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رب أشعث مدفوعاً في الأبواب لو أقسم علـى اللــه لأبره)(11) ، وكما قال -صلى الله عليه وسلم- للصحابة حين مر رجل من أشراف الناس فقالوا: هذا والله حري إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، ومر رجل من فقراء المسلمين فقالوا هذا حري إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع لقوله فقال صلى الله عليه وسلم (هذا خير من ملء الأرض من هذا)(12).

حتى تكون راضياً مطمئناً:

من أجل أن يخفف الداعية عن نفسه القلق الناتج عن المعاناة من قلة ذات اليد ، وينقلب توتره وضجره إن كان موجوداً إلى هدوء واطمئنان ورضا ، عليه التأمل فيما يأتي:
*النظر في حال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما ورد في سيرته »حيث توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير«(13) ، وكان ص »يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه«(14) ، وتوفي ص »وما شبع ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة«(15) ، »وكانت تمر عليه ثلاثة أهلّة في شهرين دون أن يوقد في بيته نار ، إنما طعامهم الأسودان التمر والماء«(16) ، وكان -صلى الله عليه وسلم- يأكل ومن معه في صدر الإسلام ورق الشجر كما قال عتبة بن غزوان: (لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما طعامنا إلا ورق الحُبْلَة حتى قرحت أشداقنا)(17) ، إلى غير ذلك من الصور الكثيرة التي نقلها لنا مَنْ دَوّنَ سيرته -صلى الله عليه وسلم- وسير صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، على الداعية الحق أن ينظر في ذلك ، ويتذكر أنه ليس الوحيد الذي يسير في قافلة الدعوة ، ويعاني من قلة ذات اليد ، فهذا قائدها -صلى الله عليه وسلم- وكبار أعلامها قد عانوا ما يعاني وله بهم أسوة كما قال تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً))[الأحزاب: 21].
*عليه أن ينظر إلى من حوله من إخوانه ، الذين هم أكثر فاقة وأشد معاناة ويرى عظم مصيبتهم وضخامة حاجتهم ، فيواسي نفسه بمقارنة مصيبته بمصيبتهم ، وخفة حاجته عند عظيم فاقتهم ، فيحمد الله على التخفيف والرحمة بأن لم يبتله كما ابتلاهم ، ولم يمتحنه كما امتحنهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه) وفي رواية (فهو أجدر ألا تزدروا نعمة من الله عليكم)(18).

*وعليه أن ينظر إلى نفسه بشمول في وقته السابق واللاحق ، وسيجد عند ذلك عظم نعم الله تعالى عليه في سائر أحواله الماضية والحاضرة ، وأن الله عز وجل إن كان قد منعه في وقت فقد أعطاه في أوقات ، وإن كان قد حرمه في جانب فقد منحه الشيء الكثير في جوانب إخرى ، وعليه أن يقوم بتعداد نعم الله ، وسيجد أن لا قدرة له على حصرها وتقصيها ليعلم عند ذلك مدى كفرانه بنعم الله ، وجحوده بها من جهة ، وواسع رحمة الله ولطفه وعظم تجاوزه عنه ومغفرته من جهة أخرى ، قال تعالى: ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنـسان لظلوم كفار)) [ابراهيم: 34] وقال عز وجل: ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم)) [النحل: 18] ، مع أنه ليس للعبد من ذاته في الحقيقة سوى العدم وكل ما فيه وله من خير فهو محض جود الله تعالى وإحسانه.
*عليه التأمل في حال أصحاب الأموال الذين لم يرد الله لهم خيراً ، وجعل ما آتاهم من رزق سبب شقاوتهم في الدنيا ، فلا هم يهنأون بعيش ولا يشعرون بطمأنينة واستقرار أو بسكينة وهدوء بال ، بل قد يُودي ببعضهم إلى قتل النفس والانتحار ، وسبب شقاوة بعضهم في الآخرة حيث قادهم إلى الكفر بالله والجحود ، وبالتالي قادهم إلى النار كقارون الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، فطغى وتجبر وجحد وقال إنما أوتيته على علم عندي ، فكانت عاقبته كما قال تعالى ((فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين)) [القصص: 81].
7- العلم بأن الفقر بلاء عام بين الخلق يبلتي به الله تعالى من شاء من عباده الدعاة وغيرهم ولا علاقة لوجوده بالاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالتالي فإن التذرع عن ترك الاشتغال بالدعوة وحمل هم هذا الدين بطلب الرزق والسعي إلى كسب المال خطأ فاحش إذ لا علاقة لهذا العمل الجليل بوجود الفقر ، بل إن الأمر على العكس من ذلك ، فإن القيام بطاعة الله تعالى وتقواه من خلال نشر هذا الدين بين الناس ومحاربة الكفر والبدع والمعاصي في الأمة ، من أعظم أسباب جلب الرزق كما قال تعالى: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب)) [الطلاق: 23].
مع أن تارك السير في قافلة الدعوة لأجل ذلك أضاف إلى معاناته من الفقر وعدم سلوك الأسباب الجالبة للرزق حرمان نفسه من الأجر والثواب عند الله تعالى وما عنده خير وأبقى وقيامه بتعريضها للعقوبة لعدم قيامه بزكاة العلم الذي آتاه الله إياه ، وتتمثل بنشره بين الناس وتعليمهم إياه.
8- أن يعلم أن الخير له فيما اختاره الله عز وجل ، وأن الفقر قد يكون هو الخير له لأن من عباد الله أناساً من لو أغناهم لحملهم ذلك على البغي والطغيان والكفر بالرحمن والتجبر على الخلان أشراً منهم وبطراً ، كما قال

تعالى: ((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير)) [الشورى: 27] ، قال العلامة ابن سعدي مفسراً لهذه الآية: ((»ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض«)) أي لغفلوا عن طاعته وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا ، فأوجبت لهم الانكباب على ما تشتهيه نفوسهم ولو كان معصية وظلماً »ولكن ينزل بقدر ما يشاء« بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته »إنه بعباده خبير بصير« ، كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: »إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك...« (19).

9- الحذر من القيام بالتعرض للآخرين للحاجة والتنبه إلى عدم طرق أبواب المسألة ، والعلم بأن ذلك وإن جاز لأناس رخص لهم الشارع بذلك ، فإنه مما لا ينبغي للدعاة سلوكه بحال لأن سبيلهم التعفف والتجمل وعدم إظهار الشكوى والفقر ، بل ستره وكتمانه اتصافاً بقوله تعالى: ((يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف)) [البقرة: 273] ، ورجاء تحقيق الامتثال لقوله صلى الله عليه وسلم: (ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله)(20).

10- ليعلم الداعية الذي هذا حاله أن ما سبق بيانه ليست بدعوة إلى ترك العمل ، وتعطيل أسباب تحصيل الرزق ، فإن ذلك في الحقيقة نقص في العقل وجهل بالشرع ومخالفة له ، كما قال تعالى آمراً بالأخذ بالأسباب مع عدم الركون إليها: ((فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)) [الملك: 15].

بل إن تعريض الإنسان نفسه للفقر حتى يضطر إلى الآخرين مع قدرته على الكسب غير اقتراف الإثم له آفات ومفاسد كثيرة منها:

*تعلق القلب بما يقيم أوده ويعيشه وما هو محتاج إليه في هذه الدنيا ، فيبقى في تفكير عميق ومجاهدة شديدة مع نفسه لترك حظه منها وهذا من قلة الفقه وعدم الرشد ، والعاقل في تعامله مع نفسه من يقوم بإعطائها حقها ويطالبها بما عليها ، وهذه هي طريقة وهدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما جاء في قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء والذي صدّقه فيه صلى الله عليه وسلم: »إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه«(21).

وعلى العبد القادر على الكسب أن يستبدل مجاهدته لنفسه في شهوة مباحة مجاهدته لأعداء الله وشرعه من شياطين الجن والإنس ، وأن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله على بصيرة.

*تطلع النفس إلى ما في أيدي الناس ، وتعريضها للحاجة والسؤال إذا مسته الحاجة إلى المال. ولا شك أن استدامة طلب الرزق الحلال لمن هذه حاله أنفع له من ترك ذلك.

*مع التسليم جدلاً بأن من هذه حالته سيقطع تعلق قلبه بحاجات نفسه ويقوم بمنع نفسه من المسألة ، فإنه يخشى عليه أن يداخله من الكبر والعجب

والزهو والغرور ما يفسد عليه قلبه ويمرضه إن لم يميته ، وتلك والله القاصمة(22).
كما أن هذه الأسطر ليست دعوة إلى الإعراض عن نعم الله المتيسرة من الحلال ونبذها وإضاعتها ، لأن تلك النعم في نظر الأخيار عوناً على الإيمان والعمل الصالح ، ولكنها نداء إلى استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب ، والسعي إلى عدم تعلقه بها وحرصه عليها واشتغاله بأجمعه بها حتى يصل إلى مرحلة عدم الفرح بموجود فيها وعدم الأسف على مفقود منها كما قال تعالى: ((لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)) [الحديد: 23].
إنها دعوة إلى أن يربي العبد نفسه على غنى النفس ، وأن يكبح جماحها ويقوم بتهذيبها حتى تصل إلى مرحلة القناعة بأنه لن يفوتها شيء من الرزق قسمه الله تعالى لها في الأزل ، وأن يقوم بتوطينها على الرضا باليسير حتى يصل بها إلى درجة الاستغناء عن الخلق ، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)(23).
11- ومع الدعوة إلى طرق أسباب الرزق الحلال من تجارة وزراعة وصناعة... الخ ، فإنه لابد من التذكير بأن العبد لا ينبغي له ترك ما بيّنَه الشرع من أمور جالبة للرزق ومنها:
*التقوى كما في قوله تعالى: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاْ * ويرزقه من حيث لا يحتسب)).
*الاستغفار كما في قوله تعالى: ((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراْ * يرسل السماء عليكم مدراراْ * ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراْ))
[نوح: 10-12].
*الإنفاق والصدقة كما في قوله تعالى: ((وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)) [سبأ: 39] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال)(24) ، وقوله تعالى في الحديث القدسي: (يا ابن آدم أنفق أنفق عليك)(43).
*الشكر للنعم وعدم كفرانها كما قال تعالى: ((لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)) [ابراهيم: 7].
*الاستغناء عن الخلق والتعفف عما في أيديهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله)(20).
*صلة الرحم كما قال صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه »(25).
*الدعاء كما قال تعالى: ((وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)) [غافر: 60] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يرد القضاء إلا الدعاء)(26).

نـداء إلى الأغنياء:

1- لابد للأغنياء من إدراك خطورة الفقر حيث إنه كما قيل قرين الكفر ، وأن خطورته تزداد على الدعاة إلى الله عز وجل ، والعلم بأنه من شدة خطورته كان -صلى الله عليه وسلم- يدعو الله تعالى بأن يغنيه منه ويستعيذ بالله من فتنته كما في قوله -صلى الله عليه وسلم- (اقض عنا الدين وأغننا من الفقر)(27) ، وقوله: (اللهم فإني أعوذ بك... ومن شر فتنة الفقر)(28).

ولذا كان لابد لمن يسر الله تعالى عليه من الدعاة وكذلك الموسرين الصالحين أن يتفقدوا حال إخوانهم فإن لهم عليهم حقاً ، وما لم يصل الأمر إلى ذلك فإن الأخوة لن تنعقد في الحقيقة والموجود منها مجرد مخالطة ليس إلا ، لا حقيقة لها في العقل والدين(29) ، وليعلم الموسرون بأن لهم بالأنصار من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة حيث واسوا إخوانهم من المهاجرين وقاسموهم الأموال.

2- وأن يتذكروا أيضاً ما جاء من نصوص في الأمر بالإنفاق وبيان فضله والتحذير من عدمه ، ومن ذلك قوله تعالى: ((يا أيهــا الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون)) [البقرة: 254] ، وقوله سبحانه: ((الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثــم لا يتبعون ما أنفقوا مَنّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنــون)) [البقرة: 262] ، وقوله عز وجل: ((وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقوا إلا ابتـغــاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)) [البقرة: 272] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟)(30) ، وفي رواية (وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس)(31) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن المكثرين هم الـمـقـلـون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خـيـراً)(32) ، وقوله عليه الصلاة والسلام: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطـيـب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فُلوَه أو فصيله)(33).

ولا شــك أن الـصـدقة على الإخوان أفضل من الصدقة على الفقراء كما قال علي رضي الله عـنـه »لعشرون درهـمــاً أعطيها أخي في الله أحب إليّ من أن أتـصــدق مـئـة درهــم عـلـى المساكين«(34).

3 -ولا يكفي تفقد الإخوان والإنفاق على المحـتــاج مـنهــم فحسب ، بل لابد من سلوك أفضل السبل لإيصال ذلك إليهم بمــا يحفــظ لهم ماء وجوههم ويصونهم من الذل والمهانة أمام إخوانهم المنفقين ، وبما يمنع من تسليط الآخرين ألسنتهم الحداد عليهم أو غيبتهم أو سوء الظن بهم ، وبما لا يـسـاعــد المعوزين على ترك الحـياء أو التشجع على طرق أبواب المسألة والخروج عن هيئة التعفف والاستغناء عن الآخرين .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

الهـوامـش:

(1)البخاري مع الفتح 7/371 ج 4015.
(2)انظر الظلال 1/145.
(3)انظر موعظة المؤمنين 2/336.
(4)المسند 5/185 وصححه األباني فـي ريـاض الـجـنــة في تخريج السنة لابن أبي عاصم 1/109.
(5)انظر موعظة المؤمنين 2/336.
(6)الترمذي 4/560 ح 2320 وصححه الألباني في صحيح الجامع 5292.
(7)الترمذي 4/561 ح 2322 وحسنه الألباني في صحيح الجامع 3414.
(8)تهذيب مدارج السالكين 283.
(9)المصدر السابق 271.
(10)المصدر نفسه.
(11)مسلم 4/2024 ح 2622.
(12)البخاري مع الفتح 11/278 ح 6447.
(13)البخاري مع الفتح 6/116 ح 2916.
(14)مسلم 4/2285 ح 2978.
(15)مسلم 4/2284 ح 2976.
(16)مسلم 4/2283 ح 2976.
(17)مسلم 4/2279 ح 2972.
(18)مسلم 4/2275 ح 2963.
(19)تفسير العلامة ابن سعدي 6/616.
(20)البخاري مع الفتح 3/345 ح 1427.
(21)البخاري مع الفتح 4/236 ح 1968.
(22)انظر تهذيب مدارج السالكين 472،473
(23)المسند تحقيق الشيخ أحـمـــد شاكر 15/228 ح 8081 وقال المحقق »في إسناده ضعف ولكن يكون صحيحاً بغيره«.
(24)مسلم 4/2001 ح 2588.
(25)البخاري مع الفتح 10/429 ، ح 5986.
(26)الترمذي 4/448 ح 2139 وصححه الألباني في صحيح الجامع ح 7687.
(27)مسلم 4/2084 ح 2713.
(28)مسلم 4/2078 ح 2705.
(29)انظـر موعظـة المؤمنين 1/139.
(30)مسلم 4/2273 ح 2958.
(31)مسلم 4/2273 ح 2959.
(32)مسلم 2/688 ح 991.

(33)مسلم 2/702 ح 1014.
(34)موعظة المؤمنين 1/139.

خواطر في الدعوة

نشـأة أخـرى
- 2 -

محمـد الـعـبـدة

الإيمان الغامــر، والـتـوحـيد الخالص، الذي يملأ النفس يقيناً ، فلا تتفرق ولا تتهافت أو تضطرب ، هو الذي يرفع الـمـسـلـم لـيكـون (صاحب رسالة) ، وهو الذي يدفعه لاستصغار الأهوال والخطوب ، ويعطيه قدرة على الصـبــر والاحـتـمــال ، ويستكبر على الشهوات، ويعلو على العصبيات ، فيكون همه الذي يقيمه ويقعده ، هو انتصار هذا الدين.

الـمـؤمنون حقاً هم الذين دفعوا بالمد الإسلامي الأول قوياً ، حتى كاد أن يغطي المعمور من الأرض ، وعاشت أجيال من بعدهم على قوة هذا الدفع عاشت أجيال بقوة إيمان مثل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الذي لا يعبأ بنفسه وإنما كان همه الأول هو هذا الدين ، ولذلك قبل بإمرة عمرو بن العاص في غزوة (ذات السلاسل) ؛ لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال له: »تطاوعا ولا تختلفا«.

وإيمان خـالـد بن الوليد هو الذي جعله يقبل بأن يكون تحت إمرة أبي عبيدة بعد أن كان القائد العام للجيـوش الإسلامية في الشام ، والحرص على الدعوة ووحدة الصف هو الذي جعل الصحابي الجـلـيل أبا برزة الأسلمي يتألم من القتال الواقع بين بني أمية وعبد الله بن الزبير ويقول: »إني أحتسب عند الله أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، وإن هذه الدنيا هي التي أفسدت بينكم«.

ونحن والله قد أصبحنا ساخطين على هذا الذي يجري في أفغانستان حيث لم تراعَ مصلحة المسلمين وسمعة الإسلام ، ولم يقبل صلح أو تعـاون أو مشورة ، وأما ما يجري مـــن القتال بين المسلمين من القتال بالكتب لا بالكـتـائب من الذم والثلب وتصنيف الناس ، والولوغ في أعراض الدعاة الصادقين ، وما يجري مـــن الشقاق والبغضاء لأتفه الأسباب ، فلا شك أنه من الأهواء والأنانيات.

ما الذي يقضي على آفات النفس ، من الحسد والبغي ، وحب العلو والرئاسة ، أو الوقوع في سفاسف الأمور وترك معاليها؟ ليس غير الإيمان الذي يملأ الجوانح هـــو الذي يقـضــي عـلى هذه الآفات الإيمان بالله الذي يعلم هذه النزغات ، والإيمان باليوم الآخـــر ، حيث يلاقـي الإنسان ربـــه ، وليس غير

حب هذا الدين والرغبة في أن يطـبـق فـي الأرض ، وأن يهيمن ويعلو ، ويستظل الناس بخيره وعدله.
ومن هنا ندرك مدى دلالــة وعـظـمــة قـــول الرسول صلى الله عليه وسلم:(»إنما الأعمـال بالنيات«)، فإنه من الجدير بالتأمل أن العمل الذي يقوم من بداياته على نية صادقة وسنة ماضية ، فإنه يكون قوياً مستمراً بإذن الله ، وإن كـــان غير ذلك فإنه مُنبتٌ يعود لأصـلـه وجذره ولا يبارك فيه ، ولهذا قال عالم الأمة عبد الله بن مسعود رضي الله عـنـه : »أنتـم أكثر أعمالاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهم أفضل منكم ذلك لأنـهـم كانوا أبر قلوباً...« ، فالحياة هي حياة القلب ، والموت هو مــوت الـقـلـب: ((يــا أيـهـا الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)) .

نـص شـعـري

مـنـاجـاة.. للعام الجديد

مـحـمـد الـعـتـيـق

صاح في الناس المنادي:
»أيها الناس استفيقوا..
شيعوا العام الطريدْ
واحضنوا العام الجديدْ
واحتسوا من غير لأي خمرة العام السعيدْ
كي تظل النفس سكرى..
في مدى العام المديدْ«
»أيها العابث فينا..
ما نداءاتك إلا صرخة..
في مسمع الوادي السحيقْ«
هكذا.. ردد صمت السامعينْ!
وانبرى صوت المناجي:
أيها العام الجديدْ.. يا ترى ما قد تكون؟
بلغ الأولاد عشراً من سني العمر
في ظل حياة الفقر لا يدرون ما معنى »المطرْ«
قال لي أكبرهم:
حدثتنا أمنا ذات مساءْ
أن شيئاً كان من مهد السماءْ
كان يهمي فوق أجساد البشرْ
وتسميه العبارات »مطر«!
صارت الأمطار ذكرى..

أصبحت محض خبرْ!
أيها العام الجديدْ..
أترى فيك نرى..
نشوة الأطفال من تحت المطرْ؟
وانتشاء الروض من عبق الزهرْ؟
وابتهاج العيد في أحلى الصور؟
في بلادي من جديد!
أترى يوماً يعود..
منتدى الأرواح في عذب السمر..
وحديث الحب في صمت السحر..
في رياض ضاءها نور القمر..
في بلادي من جديد؟!
واختفى صوت المناجي..
حيث لا ثَمّ سوى همس الظلامْ!
أترى نتلوك سطراً..
في كتاب البؤس من عيش العبيدْ؟
أم ترى نرويك شعراً..
في رثاء العز والمجد التليدْ؟
أيها العام الجديد..
طال عمر لجفاف الريق والأرض هنا
وارتوت من دمعها مليون عينْ
واشتكى الضيم سوادُ الثقلينْ
وارتدى الناس من الإملاق أخفاف حُنينْ
بدل الواحد شدوا محزمين!
ويطول الحزن في مأتمهم..
ويفك الدين دينْ!
أيها العام الجديد

دراسات اقتصادية

المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي

- 1 -

د. محمد عبد الله الشـباني
تمثل المشكلة الاقتصادية محور الاهـتــمــام لــدى علماء الاقتصاد ، كما أنها محور اهتمام الدول عند معالجتها لقضاياها الاقتصادية ، فالـمشكلة الاقتصادية مرتبطة بوجود الإنسان على الأرض ، وهي من العوامل المؤثرة في المسيرة الـتـاريخية للإنسان ، بل إن أحد أنبياء الله المرسلين وهو النبي شعيب عليه الصلاة والسلام قامت دعوته لقومه على تأكيد الجانب الاقتصادي وأهمية الإصلاح الاقتصادي المرتبط بسلامــة العقيدة ، فقد حكى الله في القرآن الكريم قصة شعيب مع قومه ، وأبرز أهم نقاط إنكاره عـلـيـــه السلام على قومه المتمثلة في عملية البخس في التبادل التجاري ، وأكل أموال الناس بالـبـاطـــل مــن خلال التأثير في عملية التوزيع ، التي تمثل أهم جوانب المشكلة الاقتصادية يقول الله تعـالـى مخـبـراً عن واقع قوم شعيب وسلوكياتهم الاقتصادية المرتبطة بسوء التوزيع: ((وإلى مدين أخاهم شعيباْ قـــال يـا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخـيـر وإني أخــاف عـلـيـكــم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)) إلى قوله: ((قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفـعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ، قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقـنـي مـنـه رزقــاْ حسـنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عـلـيـه توكـلـت وإلـيــه أنيب))(1).
ولعل في الآيات إشارة إلى تأثير عدم العدل في التوزيع وفي التبادل التجاري ، وأكل أموال الـنـاس بالـبـاطــل ، وأن ذلك من أسباب سوء الأوضاع الاقتصادية للفرد والمجتمع ، فقد وصف نبي الله شعيب واقعه باعتباره تاجراً يلتزم بأوامر الله بأن الله قد رزقه رزقاً حسناً بسبب التزامه بما يأمر به قومه من العدل في التعامل.

تتمثل المشكلة الاقتصادية في جوانب ثلاثة هي:

1- ندرة الموارد الطبيعية وقلتها ومحدوديتها ، وبالتالي فإن المشكلة في هذا الجانب تتمثل في الاختيار بين ما ينتج وما لا ينتج لاختلاف وكثرة حاجات الإنسان ، وكيفية تخصيص الموارد المتاحة للاستخدام ، أي تحديد الموارد التي يمكن استخدامها ، وأسلوب الإنتاج الذي ينبغي اتباعه وبالتالي فإن المشكلة تمتد لدراسة نظرية الائتمان لهذه الموارد ونوعية السلع وكمياتها ، وأولويات إنتاجها ، والبدائل بينها.
2- الطريقـة التي يـتـم بـهـا توزيع الدخل العام على عناصر الإنتـاج المختلفة أي نمطية ونوعية توزيع عناصر الإنتاج على أفراد المجتمع ، وأنصبة عناصر الإنتاج في ذلك الدخل على أساس الوظيفة التي أداهــا كــل عـنـصـر في

تحقيق هذا الدخل ، فهذا الجانب من المشكلة الاقتصادية يتعلق بتحديد مصادر الدخــول الفردية وقواعد اكتسابها وتوزيعها ، وكذلك تحديد أنصبة عناصر الإنتاج في الدخل وهي الربح للأرض والأجر للعمل والعائد على رأس المال والربح للمنظم أي للمضارب بالعمل.
3- الأهمية النسبية لعناصر الإنتاج ودور كل عنـصــر وأهـمـيـتـه فـي العملية الإنتاجية ، والأهمية النسبية مرتبطة بالمفهوم الفلسفي الذي يعتنقه المجتمع ، فإن للنظام الاجتماعي بما يحتويه من تنظيمات اقتصاديـــة تأثيراً في تحديد مقدار الإنتاج ونوعه سواء أكان من حيث مدى اتساع وضيق حرية التمـلـك أو حرية العمل والاستهلاك ، أو تشجيع التقدم الفني والتقني لتحسين وزيادة الإنتاج بقصد الاستفادة من عناصر الإنتاج الأساسية المتمثلة في الموارد الطبيعية ورأس المال والعمل.
إن هذه الجوانب الثلاثة للمشكلة الاقتصادية هي محور الدراسات الاقتصادية ، كما أن لها دورها في الصراع بين مختلف الشعوب والمجتمعات بجانب أنها من العوامل المسببة لنشوء الحروب وسقوط الحضارات.
إن وجود المشكلة الاقتصادية هو جزء من سنة الله الكونية ، وابتلائــه وامـتـحانه للبشر حتى يتميز الخبيث من الطيب ، والصالح من الفاسد ، والمؤمن من الكافر.
إن الإسلام يقر بوجود المشكلة الاقتصادية ، ويعتبرها من الظواهر الكونية ومــن الســنــن الإلهـيــــة المصاحبة لوجود الإنسان على الأرض ، وجزء من امتحان الله له حتى يمكن تحديد مصيره في الحياة الآخرة.
إن النقص والندرة في الموارد الطبيعية جزء من إرادة الله الكونية ، كما إنها أحياناً تكون نوعاً من العقاب الإلهي لطغيان الإنسان في الأرض وإفساده فيها.
لقد حدد الله في كتابه العزيز العلة لوجود هذه الظاهرة ، أي ظاهرة ندرة الموارد وقلتها ، بأنها تعود إلى طبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها ، تلك الطبيعة المتمردة الطاغية التي تستغني عندما تشبع ، يقول الله تعالى موضحاً هذه الحقيقة: ((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء))(2) ، ويقول تعالى واصفاً طبيعة النفس البشرية عندما تصل إلى الرفاه وتحقق متطلبات وحاجات الإنسان ، بأنها تصبح طاغية مستبدة: ((كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى))(3) ، كما إن المجتمع الذي يستغني فإنه يمارس ما يمارسه الفرد ، وهذه الحقيقة أوضحها القرآن الكريم في قوله تعالى: ((لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور))(4) ، وقوله تعالى: ((وضرب الله

مثلاْ قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداْ من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون))(5).
إن للندرة في الموارد الطبيعية حكمة تقتضيها ، فالنقص في الموارد يوجد الحافز على عمران الأرض واستمرارية البشر عليها حتى الأجل المحتوم بالعمل حسب الطاقات والإمكانيات الفعلية والعقلية الموزعة بين البشر ، مما يؤدي إلى قيام عنصر العمل بدوره في الاستفادة من الموارد الطبيعية ، ومساهمته في استخراج الكنوز المودعة في الأرض ، ولن يتم ذلك إذا انعدمت وزالت المشكلة الاقتصادية ، لقد حدد القرآن الكريم هذه الحكمة بأنها جزء من سنة الله الكونية وآية من آيات ربوبيته في قوله تعالى: ((ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاْ سخرياْ))(6).
يحدد القرآن الكريم المنهج الذي يمكن للإنسان عند اختياره له تحقيق الرخاء والحصول على رغد العيش وكفايته ، فقد تكفل الله بتوفير احتياجات الإنسان المرتبطة بمقومات وجوده ، حيث تكفل الله بإشباعها ، هذا المنهج الذي أوضحه الله سبباً موجباً لكفاية الاحتياجات ، هو إيمان الإنسان بالله قولاً وعملاً وسلوكاً وتشريعاً ، إن انحراف المجتمعات الإنسانية يعتبر سبباً في تحقيق النقص في الإنتاج سواء أكان ذلك بسبب تسليط الله لبعض مخلوقاته بإفساد وتحطيم الإنتاج ، أو بنزع بركة الخير والرزق الذي يبسطه الله لعباده ، يقول الله تعالى: ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون))(7).
إن معالجة الإسلام للمـشكـلة الاقتصادية ، والأسلوب الذي يأمر باتباعه لتجنب الوقوع في المشكلة بالشكل الذي يخـل بـتـوازن المجتمع ، يقوم على معالجة جميع جوانب المشكلة الاقتصادية بشكل متكامل بحيث تـتـكـاتــف جميع العناصر المؤثرة في التنظيم الاجتماعي بالعمل في تناسق وتكامل لتحقيق المجتمع الفـاضـل الذي تسير الحياة فيه وفق منهج الله الذي أوضحه سبحانه في كتابه على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، فإذا تحقق هذا الأمر باليسر وفق شريعة الله عقيدة وشريعة ، فإن المشكلة الاقتصادية بمختلف جوانبها لا تصبح معوقاً لاستقرار الـفـرد وتحقيق الغاية التي من أجلها خلقه الله وأهبطه إلى الأرض ، ليعمرها فترة زمنية مـحــددة ، حيث ينتهي به المطاف إلى الحياة الأخرى التي لا نصب فيها ولا تعب ، وإنـمـا هي دار جزاء على ما قدمـه خلال الفترة الزمنية التي مكثها على وجه الأرض.
إن دراسة المنهج والأسلوب الذي يعالج به الإسلام حل المشكلة الاقتصادية يقتضي دراسة جميع جزئيات وكليات النظام الاقتصادي من المنظور الإسلامي ، أي دراسة كاملة وشاملة لمنهجية وأسلوب الإسلام في تنظيم المجتمع من الناحية الاقتصادية ، وبالتالي فليس من مهمة هذه المقالة وما يتبعها من مقالات طرح كامل لكافة الحلول التي يطرحها الإسلام لعلاج المشكلة الاقتصادية باعطاء تصور كامل لمنهج الإسلام ، فهذا يحتاج إلى دراسات

مطولة ومتنوعة لمختلف فروع الاقتصاد ، ولكن سوف نحاول في هذه المقالة وما بعدها من مقالات ترتبط بالـمـشـكـلـة الاقتصادية إعطاء القارىء تصوراً عاماً للحلول التي يأمر بها الإسلام لحل المشكلة الاقتصادية بجوانبها الثلاثة التي أشرت إليها في بداية هذه المقالة ، وتأصـيـل فـكــرة أن الإسلام لا يقتصر على معالجة العلاقة بالله تعالى فقط ، وإنما يعالج مشاكل البشر المادية بما يتفق مع الطبيعة البشرية والسنن الكونية التي اقتضتها حكمته من خلق الإنسان على هذه الأرض.
إن الندرة في الموارد الطبيعية مرتبط بحكمة خلق الإنسان ، حيث إن الأرض التي خلقها الله للإنسان ليسكن فيها لم تخلق لتكون مكان راحة وسعادة ونعيم ، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى عندما أهبط أبا البشر آدم عليه السلام: ((وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)) (8) ، فلم يفض الله أنعمه على الأرض كما أفاضها في الجنة بل جعل متاعها قليل وجعل مواردها محدودة ، ولكن الله الذي خلق الأرض وخلق البشر عليها ، قد أوجد فيها من الخيرات والموارد التي تكفي حاجة الناس إذا قاموا على الطريق السوي وامتثلوا لأمر الله ، ولكن إذا انحرفوا فإن قانون الندرة يؤدي إلى استفحال المشكلة الاقتصادية وإصابة الناس بالألم والعذاب والشقاء والفقر والجـــوع والخوف..
إن منهج الإسلام في معالجة الندرة في الموارد الطبيعية يتمثل في توجيه المجـتـمـع إلـى استغلال جميع الموارد الطبيعية ، وبذل الجهد في سبيل الحصول عليها والاستفادة منها، فاستغلال هذه الموارد يحتاج إلى بذل الجهد ، فمن أراد أن يستفيد مما أوجده الله على الأرض أو في السماء ، فإن عليه بذل الجهد فالـمـــوارد الطبيعية التي هي أحد المصادر المسببة للمشكلة الاقتصادية ، سواء أكان ذلك من ناحـيـة القصور في استغلالها ، أو من ناحية الأسلوب والتقنية المتبعة من قبل الإنسان عند استغلاله لهذه الموارد ، لهذا فإن معالجة واقع الندرة للمواد الطبيعية يأتي من كيفية استغـلال هذه الموارد وبذل الجهد لاكتشافها ، فالأرض هي مصدر أساس من مصادر الرزق، وهـي تكـتـنـز في باطنها المواد الأولية لإنتاج المنتجات التي يحتاج إليها الإنسان في حياته ، كما إنـهـــا تحتفظ على ظهرها بمصادر الإنماء من تربة وماء فيتحقق باجتماعهما انتاج حاجة الإنسان من الغذاء ولهذا فإن معالجة الإسلام لجانب قلة الموارد وندرتها يأتي من خلال استغلال الأرض وتوجيه انتباه الإنسان إلى الأرض ، وضرورة استغلالها باستصلاح الأرض والعمل على استغلالها وخلق الحافز للإنسان لتحقيق ذلك.
وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو حق)(9) ، فيتضح من هذا الحديث جانب من جوانب معالجة الإسلام لكيفية التعامل مــع الـنـدرة ، وذلك بالحث على استغلال الأرض واستثمارها من خلال تشجيع الإنسان على استغلال الأرض من

خلال الاستفادة من غريزة التملك لدى الإنسان بحثّ الأفراد القادرين عـلـى استغلال الأرض المعطلة ، وبالتالي فإن الإسلام يحرص على دفع عوامل الإنتاج في التفاعل من أجل تخفيف آثار الندرة في الموارد في استفحال المشكلة الاقتصادية فعدم استغلال الأرض يؤدي إلى تعطيل مصدرين من مصادر الإنتاج وهما الأرض والعمل ، ولهذا فقد وجه الإســـلام الاهتمام إلى هذا الجانب من جوانب معالجة الندرة بتوفير المناخ المسـاعد على اسـتـغـلال المتاح من الـموارد الطبيعية فأوجد السياج النظامي لحماية الفئة النشطة من بني الإنـســان ، بتوفير الحافز على استغلال الأرض من خلال إعطاء حق التملك لمن يستثمر الأرض ، وحـمـايــة هذا التملك بإهدار أحقية أي مغتصب فعبارة: وليس لعرق ظالم حق التي وردت في بعض الروايات يقصد منها أنه لا يحق لرجل يأتي إلى أرض قد أحياها رجل قبله فيغرس فيها غرساً غصباً ليستوجب بهذا الغرس تملك الأرض ، فقد أهدر حقه ومنعه من ذلك الحق ، وتقع حماية التملك على ولي الأمر المسلم الذي يتولى رئاسة الدولة الإسلامية.
إن مشكلة الدول المتخلفة هي في عجزها عن استغلال مصادر الطبيعة المتاحة للإنسان ، إما بسبب التشريعات الظالمة التي تعيق الحافز على العمل والتاريخ المعاصر يقدم الدليل على أن الـتـشـريـعـات الظالمة ، وتبني الأفكار المنحرفة أدى إلي انهيار النظام الاشتراكي فـي الاتحاد السوفيتي الذي قام تنظيمه الاقتصادي على تقليص دور الفرد في استغلال الـموارد الطبيعية بكبح غريزة حب التملك ، وبالتالي إبعاد الحافز عن العمل بمنعه من أداء دوره في التأثير بعدم الاستفادة القصوى من الموارد الطبيعية.
لقد وجه الإسلام الانتباه إلى أن الموارد الطبيعية لا تقتصر على ما يظهر على وجه الأرض ، وأن الندرة قد تكون بسبب عدم بذل الجهد الفكري والعضلي ، وأن الندرة يمكن حلها إذا بذل الإنسان الجهد ، وعمد إلى البحث عن مصادر الرزق بعدم الركون إلى الـمـصـادر الظاهرة ، لقد روى أبو يعلى في مسنده حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أطـلـبــوا الرزق في خبايا الأرض)(10) ، ففي هذا الحديث إظهار لحقيقة أن الأرض تـخـبـىء كـثـيـراً من الخيرات ، وأن الله الذي خلق الإنسان قد تكفل بأن يوفر له احتياجاته ولكن بشرط أن يعمل على البحث والتنقيب ، فالحديث فيه إشارة صريحة على أن الرزق مخبؤ في باطن الأرض ، لكنه يحتاج إلى طلب.
إن من سنن الله الكونية أن الله قد أوجب عـلـى الإنـســان السعي في الأرض وبذل الجهد والتعب ، أما التمتع بدون تعب فهو في الحياة الأخرى ، وهـــذا من الأسرار التي جعلها الله في قلة الموارد ، ولكن ليس الانعدام الكلي وعدم إمكانية توفير الاحتياجات ، فالندرة حسب المفهوم الإسلامي

نسبية وليست مطلقة ، أي أن الندرة تحــدث إذا عطــل الإنسان ملكاته وقدراته ولم يعمل على استغلال طاقاته الذهنية.

إن من واجب الإنسان أن يمارس عملية التفكير والاختراع ، فما يصنعه الإنسان أو يكتشفه هـو مــن صـنـع الله ، لهــذا ينبغي فهم قول الله تعالى على حقيقته ((والله خلـقـكـم ومــا تعملون))(11) ، فإن ما يتوصل إليه الإنسان من مخترعــات، ومــا يلهـمـه الله من معرفة للأسرار الكونية ، إنما أذن الله بها في هذا العصر مع كـثـــرة الناس ، ولم يأذن بها فيما سبق من تاريخ البشرية ليؤكد حقـيقــة ثابـتـة لا جــــدال حولها أن الله قد تكفل بتوفير احتياجات الإنسان وأن الموارد الـمتاحة كفيلة بتوفير احتياجات الإنسان بشرط أن يسعى وفق سنن الله وضمن نطاق العبودية له تعالى ، ولهذا فإن الانحراف عن هذا المنهج سيكون سبباً في ندرة الموارد حيث يصبح ذلك أداة لإنزال عقاب الله تعالى على ظلم الإنسان.

الهـوامـش :

(1)سورة هود:84،85 ، 87،88.
(2)سورة الشورى: 27.
(3)سورة العلق ، الآيتان 6،7.
(4)سورة سبأ ، الآيات 15-17.
(5)سورة النحل ، آية 112.
(6)سورة الزخرف ، آية 32.
(7)سورة الأعراف ، آية 96.
(8)سورة البقرة ، آية 36.
(9)البخاري ، كتاب الحرث والزراعة ، حديث رقم 2335.
(10)ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد أن ابن حبان ضـعفه لأن فيه هشـام بن عكرمة ، وإن كـان المعنى يمكن أن يؤخذ من عموم نصوص أخرى.
(11)سورة الصافات ، آية 96.

نـص شـعري

مـسـرح!

عبد الله محمد العسيري

يجر خطاهُ..
على »مسرح« من سآمةْ
ومن خلفه »ابنُ سلول« له أوجه عدةٌ
ليس فيها جباهُ!
وفي مقلتيه جهامةْ
وفوق الجبين حمولة ذل..

غدت للعبيد علامةْ!
»وقـع هُنا«
يخط بريشته في الورقْ
هامساً وهو يحني العنقْ:
»سمعاً وطاعة!
نحن باعة..
وما كانت القدس والأرض إلا بضاعة!
وكلي قناعة..
غير أني أفضّل كتمان سري«
ويُغرقُ همساً:
»كيف أصنع لو أبصرَ الشعبُ أحداقَه السائلةْ!
ويدي القاتلةْ!
وجنينَ »السلام« الذي جاء ميتاً
وإن صفقت فرحاً فرقةُ »القابلةْ«!!
إن شرطي الحفاظ على السر حتى استلام الثمنْ«.
هو يهوي على الطاولة..
يغمس الآن ريشته.. والعفنْ..
يتحدث عبر روائحه!..
عن حقيقة هذا الظلام الذي..
يتستّر متزّراً بـ »السلامْ«!
أفّ.. هذا زمان الوَهَنْ!
ما الوهن؟!
أن تبيع دمي..
وتجعل دولارهم بعد قتلي الكفنْ!!
ثم تسلبه حين تبتعد العدساتُ..
لتأخذ أنت الثمنْ

المسـلمون والعالم

المسافة بين فلسطين وجنوب افريقيا
رؤيـة فـي حـدثين

د. عبد الله عمر سـلطان

لم يجد وزير الخارجية الأمريكي مـن عـبـارة لـوصـف دخول الشرطة الفلسطينية إلى غزة وأريحا سوى القول: »إنها تجربة تشبه التجربة المثيرة التي نراها اليوم في جنوب افريقيا«، وما أبعد الشبه وأخبث المقارنة بين

تجربة جنوب افريقـيا الـتي عادت لتُحكم وتسير وفق رأي أهلها، وبين »الجيب« الاختباري الذي يحاول المستفيدون مـــن وجوده أن يروجوا له، ويربطوا بينه وبين تجربة الأفارقة الجنوبيين.
ولـكـن مـهلاً ، قد يكون هناك شيء من التشابه بين هذا الحدث ، وذاك ربما يكون هناك خيط رفيع يـربـط الـمشهدين ، والمسرحين ، والجمهور الفاغر فاه لهثاً وراء ما تخبئه بقية الفصول التي اعتاد الجميع أن تكون مأساوية وفي اتجاه واحد ، والجمهور الذي يهنأ بلذة النصر على الظلم بعد كفاح مرير ، ولنتأمل ملامح الشبه بين الروايتين:
أولاً : كلا الـمـشـكـلـتين في الجنوب الأفريقي أو فلسطين المحتلة بدأت مع انتشار الرجل الأبيض وحضارته المشينة ، التي كانت تحمل الإنجيل المحرّف بيد بينما تنشغل الأخرى في صب الرصاص والبارود باتجاه سكان العالم من غير البيض ، الرجل الأبيض الذي ينظر إلى نفسه باعتباره مخـلـوقــاً فــوق الـبـشـر الآخرين كان من حقه أن يعلن وهو يطأ القدس (بظلالها الإسلامية) انتهاء الحروب الصليبية كما فعل الجنرال اللنبي أو أن يمارس الصيد البشري في حق سود جنوب افريقيا وملونـيـهـا لأنـهـم دون البـشـر ، الذين يحملون الدماء والأعين الزرقاء.
ثـانـيـاً: كلا الكيانين العنصريين في جـنوب افريقيا أو في كيـان الصهاينة لم يكن ليكتب له الاستمرار والبقاء لولا الدعم الغربي المادي والمعنوي المباشر ورغم تـعـاقـب الشعارات التي بدأت منذ إطلاق الفكرة السخيفة التبريرية بأن الاستعمار جاء ليطور الشعوب المحرومة ، وحتى شعارات »ولسون« وعصبة الأمم في تقرير حـق الشـعوب ، إلى إعلانـات الأمم المتحدة ودسـاتيرها الطنانة بالرغم من توالي كل هذا الطنين الهائل ، فإن الغرب لـم يـغـيـر موقفه العملي من هاتين التجربتين المروعتين ، بل ظل ينظر إلى هذين الكيانين باعتبارهما امتداداً حضارياً له بكل شمولية التجربة الحضارية وتعقيدها.
ثـالثاً: ظـلـت جـنـوب أفـريقـيـا كما ظل العدو الصهيوني نموذجاً آلياً لما تعنيه العنصرية والتفرقة على أساس الجنس أو الـعــرق (وأهم من ذلك الدين) فالآبارتايد التي تعني بلغة المستعمرين البيض التفرقة على أساس اللون والصهيونية كلاهما كانا ولازالا وجهين لنفس العملة التي جرمها العالم ودوله ومنظماته الدولية عبر أكثر من عقد ، وحتى سقوط نظام التفرقة في جنوب افريقيا التي ظلت تجربتها ممقوتة ومقاطعة دولياً ، بالرغم من الخطوات والمبادرات الإيجابية للبيض لحل هــذه الـمعضلة ، بينما حظيت الصهيونية بدعم أمريكا خصوصاً حتى أجبر العالم في ظل »النظام العالـمي الجديد« أن يبتلع اعتراضه ويدوس على قراراته السابقة لكي تشرق شمس الصهاينة في ظل الحرب الصليبية.

رابعاً: في ظل هذا المشروع الغربي القذر، وبالدعم الدولي لدوله المنتصرة في هذا القرن، ومع تزامن الاعتراض الدولي الصوتي غالباً والدبلوماسي أحياناً ، أظهرت الشعوب الأفريـقـيـة الـمـجـاورة ، والــدول الـعـربـيـة المحيطة بفلسطين ، فشلاً تلو فشل ، وكشفت المواجهة المفروضة على هذه الأمم عن فـجــوة حضارية هائلة ، وغباء سياسي لا مثيل له ، لاسيما حين كان يحارب المهزوم والمظلوم بـسـلاح ظـالـمـه وعقيدة من قهره ، وهذا بحد ذاته كان دافعاً لطرح أسئلة ضرورية وبدهية حول الكينونة والذات والجذور الحضارية ، وإجابات هذه الأسئلة هي البداية الصحيحة ، لتصحيح المعادلة القائمة.

خامساً: وهنا ، ومع تراكم هذه العوامل هب السود في افريقيا مطالبين بحقــوقهم وأرضهم وثرواتهم... ، بل قبل ذلك بإنسانيتهم ، بينما كـان شـعـب فـلـسـطـين المسلم يدفع بالدم الأحمر كل يوم ليغذي روح الجهاد والانتفاضة في وجه الظالم ، ومن يقف وراءه ويسـتـتر بدرعه وآلته العسكرية العجيبة. أنــا أزعـم أن عـوامــل الشبه وتقاسيم الملامح تنتهي هنا ، ليبدأ مفترق طرق قاد تجربة جنوب افريقيا نحو الانـتـصـار ، بينما قاد قضية فلسطين نحو وضع أقسى من الاحتلال المباشر ، وأفظع من التسليم بمـفــرداتــه التي تلاشت مع الدخول الهزيل لقوات القمع الفلسطينية الناشئة.

لماذا نجح »مانديلا«؟

هذا التساؤل الملح طرحه العديد من المراقـبـيـن والمهتمين والمندهشين ، وهم يرون »نلسون مانديلا« يُقْسم رئيساً للدولة الجديدة في جـنـوب افريقيا ، وأكثر ما أثار دهشة هؤلاء هو مقارنة مصير فلسطين المظلم بالرغم من عدالة قضيتها مع واقع مشروع »مانديلا« الذي انتهى إلى انتصار باهر ولهذا التساؤل مكانه المشروع وأهميته البالغة.

لقد اجتمع لمشروع »مانديلا« القائم عدة عــوامــل لابد من وضعها في الحسبان عند تناول القضية ، بعضها يمكن الإفادة منه كونه تجربـــة بشرية وتحركاً إنسانياً يستفاد منه ، لاسيما لأولئك الذين تصدوا لحل مشكلة فلسطين من أبناء جلدتنا ، نجح »نلسون مانديلا« بعد ثمن باهظ وكفاح لاشك في مرارته ، فقد نفي هذا الرجل الذي حمل قضية أبناء جلدته إلى جزيرة روبن عام 1964 م ومكث في السجن أربعة وعشرين عاماً ، حمل فيها هم أمته ، ويقول تعليقاً على ذلك: »طردت من الجامعة في أول سنة لي فيها ، وكنت ابن تسعة عشر عاماً بعد أن قدت اعتصاماً داخل مبنى الجامعة ، بعدها عرفت أن هذا الطريق مليء بالمفاجآت وأن هذه البداية ، مجرد بداية« ، ولم يثن هذا الأمر »مانديلا« عن قناعته ، فظل تحت المراقبة والملاحقة حتى اعتقل عام 1956 م لمدة عام بتهمة إثارة الشعب ، ثم أعقب ذلك قرار بحظر نشاط »المؤتمر الوطني الأفريقي« فاندفع »مانديلا« نحو العمل السري وانشأ عام 1961 م جناحاً عسكرياً تابعاً للمؤتمر ، وإثر ذلك اعتقل ثم

أدين عام 1964 م ، وحكم عليه بالسجن المؤبد وحينذاك قال: »ظننت أن الحياة لا طعم لها بعد شهور من السجن.. كدت أن أنس ما معنى الحياة ، لكني لم أنسَ أنني كنت أعيش لقضية تستحق أن أدفع حياتي ثمناً لها فضلاً عن أن أنساها..«.
ولنا أن نقارن بين هذا الرجل الضال الذي كان يتخذ من الماركسية نموذجاً بالرغم من نصرانيته ، وبين قيادات العار التي قادت قضية المسلمين الأولى كانت قيادة المنظمة تعيش في الفترة التاريخية نفسها ، ولكن ممارستها أبعد ما تكون عن طريق التضحية التي مارسها كافر ، فضلاً عن متابعة طريق الحق والرشاد ، لقد رفض »مانديلا« أن يفرج عنه ليمضي كدمية تقبل بشروط المؤسسة الحاكمة في جنوب افريقيا ، وفضل السجن على الحرية العوراء ، حدث هذا مرتين عام 1973 م وعام 1984 م ، ولما كان يسأل كانت إجابته: »لقد سجنت لرفض التفرقة العنصرية ، وسأقبل الإفراج عني شريطة أن ترفع هذه التفرقة البشعة« ، لقد قبل »مانديلا« السجن لمدة ربع قرن ، ثم اضطر الجلادون أن يفرجوا عنه بعد ما رأى العالم كيف يستطيع فرد أن يرتفع بقضية إلى الآفاق البعيدة ، وكيف تستطيع قيادات أخرى أن تهوي بشعبها وتاريخها ودمائها إلى تلك الهوة السحيقة ، وهي تعيش عيشة الأباطرة ، وتمارس النضال على الفرش الحريرية والبسط الحمراء ، ثم تُقْتَنَص كالطيور المرعوبة في قصورها الصغيرة أو على الشواطىء حيث لقي بعض قادة التهريج النضالي لقضية فلسطين حتفهم وهنا يحضرني مقال »زهير محسن« الذي اغتيل في مدينة »كان« الساحلية بفرنسا حيث كان يمارس النضال السياحي!! بعيدة هي القيادات الفلسطينية بأنانيتها وتهريجها وقصر نظرها ونزقها وطفولتها السياسية ، مقارنة بالمواصفات القيادية المتميزة التي صقلتها التجربة والممارسة في المثال الذي نطرحه للمقارنة.
لقد علق »جفري بارثولت« المعلق الأمريكي على هذا البون الشاسع بقوله: »قيادة تصنع الحدث وأخرى تلهث لتظل في دائرة الحدث« ، ونحن نقول: قيادة تعرض عن شعبها وعقيدتها وعمقها لتظل تحكم ولو شبراً من الطين وأخرى ترفض أن تتاجر بآلام من ائتمنوها على قضيتهم حاضرهم وغدهم.
إن من الظلم بمكان أن نقارن بين القيادتين رغم المعطيات المتعددة التي سنحت لعرفات وشركاه فأصروا دوماً على أن يختاروا مقعد القيادة بأي ثمن ولو كان هذا الثمن باهظاً وغالياً وثميناً ، كقيمة القدس ومنزلة الأقصى في قلب كل مسلم ، إن من المفارقة حقاً هنا أن شعب فلسطين قد خاض حرباً ضروساً في وجه الاحتلال تزيد ضراوتها وتضحياتها على تلك التي شهدتها جنوب افريقيا ، لكن جهاد الشعوب قد يذهب أدراج الرياح في ظل قيادات الترهل والعجز ، وهذا أبلغ الدروس التي يجب أن يستفيد منها الشعب الفلسطيني الآن ، وهو يشهد بالرغم من الاتفاق الهزيل ذروة اشتعال المقاومة والجهاد ، فالقيادات التي سطرت الاتفاق الهزيل بأي ثمن سيطويها

الزمن ، وحينها ستُظهر الأحداث القيادات الراشدة التي تصبر وتصابر وترفض الانحناء إلا لربها ، وهناك ستبدو تجربة »مانديلا« حتى من الناحية القيادية ضئيلة ، ولكم أن تتأملوا بذرة الصمود التي وضعها الشـيخ المقعد المصـابر »أحمد ياسين« ، وهو يواجه بجسده المشلول أعتى قوى الجبروت الوحشية.
وإذا وضعنا في الحسبان الفارق بين القيادتين ، نجد عاملاً آخراً لا يقل أهمية عن هذا العامل ، وهو يتمثل في جوهر الصراع في فلسطين ، حيث يمثل ذلك الصراع امتداداً للحرب الصليبية اليهودية التي شنت على أهل التوحيد المضطهدين في الدعوة ، وحتى ظهور الملاحم والفتن ، فالحرب في جنوب افريقيا كانت لا تحمل البعد العقدي ، بعد أن روض الرجل الأبيض افريقيا السمراء ونصّرها وألحقها بمنظومته الحضارية ، وإن كان ينظر إليها نظرة العبد المقود والمسيحي الوضيع ، فالإسلام إذاً غائب عن هذه المعادلة ، وفي ظل التغيرات الدولية وانقشاع خطر الشيوعية ، وتحول »مانديلا« من شيوعي أحمر إلى متعصب للرأسمالية وأنصار الليبرالية بمفهومها النصراني وجذورها اليونانية فلا يوجد سبب للقلق داخلياً أو خارجياً ، فهذه الدولة ستظل انعكاساً لحضارة الرجل الأبيض تستورد قيمه ومبادئه وديموقراطيته ، وستهتم بقضاياها الداخلية وكيف تحسن من وضع الإنسان الأسود المسحوق ، الذي سيدور في النهاية حول رحى القوى الغربية ، »لن يكون (مانديلا) خطراً على الحضارة الغربية فليس لديه (جرثومة الأصولية) أو فكرة نشر (حضارة مغايرة)« كما يقول المعلق الأمريكي »ساوندرز« ، بينما نرجع إلى فكرة »جفري برثولت« عن ماهية الصراع العربي الإسرائيلي ، حيث يعلق على دخول اتفاق غزة/أريحا أولاً حيّز التنفيذ بقوله: »سواء أكان هذا حسناً أو سيئاً فإن جنوب إفريقيا اليوم تتعامل مع واقعها الشاب ، ومهما كان الماضي قاسياً وخاطئاً فإنه من البقايا التي ينظر إليها بسماح وعفو ، أما هناك في الأراضي المقدسة فإن الوضع يختلف فالتاريخ حاضر ، منذ إبراهيم عليه السلام الذي يعتبر نبياً لدى اليهود والمسلمين ، وهذا الماضي يطل كسحابة داكنة يحكم الحاضر ونقاشاته ، ويسحبه إلى الوراء بالرغم من توالي القرون...«.
الصراع حتى في منظور أولئك المحايدين نظرياً صراع عقدي حضاري طويل ولاهث لا يمكن حله على الطريقة »المانديلية« ، لأن المعادلة فيه أن نكون أو لا نكون ، والغرب يرفضنا مهما تصنعنا الذل وتعلمنا العبودية لأن الحق أخبرنا أن هذا النفق ليس له من مخرج إلى أن نتبع ملتهم كما اتبع »مانديلا« ملتهم ، فرضوا عنه ، ولكن ضمن المعادلة نفسها ، التابع والمتبوع ، السيد والعبد ، الأبيض »السوبرمان« والمملوك المنبوذ..
ونتيجة لذلك العامل وذاك الإطار ، فقد نجح »مانديلا« حينما أثبت للغرب أن قضيته معه محصورة في رفع التفرقة غير الإنسانية التي تمارس ضد السود من بني جلدته ، وفي سبيل هذا سعى منذ خروجه من السجن قبل ثلاث سنوات إلى إثبات اندماجه العضوي ضمن قواعد ومفردات الغرب النافش

ريشه اليوم ، أعلن بعد خروجه من السجن تمسكه بالليبرالية الغربية وديمقراطيتها وتجاربها الغربية الرائجة ، ثم أعلن بلا مواربة أنه كان مخطئاً أو مبالغاً في إعجابه بالشيوعية أو الاشتراكية ورغم كونهما نبتتين غربيتين ثم خطى الخطوة المهمة والحاسمة حينما أدرك بعد جولته التاريخيةفي الولايات المتحدة بُعيد الإفراج عنه ، أن عليه أن يتقرب ويتودد ليهود العالم ، فأعلن دون تردد عن بالغ أسفه واعتذاره عن موقفه السابق والقائل بأن الصهيونية صورة من صور العنصرية ، إنها ليست كذلك ، هكذا اكتشف الزعيم الواقعي قواعد اللعبة وحصل على جواز السفر الذي قُبل بموجبه عضواً بارزاً ورصيداً مهماً ، فزاد هذا من بريقه ولمعانه ، فقصته وتاريخه وكفاحه ثروة وجهت نحو رصيد هائل لنجاحات الغرب ، ومن يقبل أن يوظف كل هذه المعطيات المهمة في اللحظة المناسبة وبالأسلوب الذي يكفل إعادة التأهيل ، ثم الانطلاق في شرايين هذه الحضارة المتوحشة التي توظف كل من يقبل بشروطها وقواعد لعبتها.

الحقيقة التي تصفعنا:

الحقيقة التي تصفعنا شئنا أم أبينا أن نموذج غزة/أريحا أولاً هو نموذج إقليم »بانتوستان« وهو إقليم كان يقطنه السود في ظل الحكم العنصري البائد ، ويحكمون أنفسهم ذاتياً ويمارسون فيه ضبط العناصر التي تقلق أمن البيض كما يجمعون القمامة بطريقتهم الخاصة ، ويوزعون الحصص الدراسية حسب اتفاقهم ، ويحق لهم سماع طبولهم التقليدية ، وإصدار الطوابع التي تحمل اسم »الكانتون«!! ، لكن كان لهم حرية أكبر في المجال الاقتصادي وعبور البشروالتجارة الخارجية.

لقد رفض »مانديلا« دولة »بانتوستان« ليقبل »فخامته« بأقل منها بكثير بعد شهور من إراقة ماء الوجه والمفاوضات الشاقة التي انتهت بمهرجان التوقيع الأخير الذي أثبت للعالم الذي كان يتابع حفل الاتفاق أنه يشاهد مسرحية بكل ما تعنيه الكلمة من قيمة ترفيهية ، وأن التهريج السياسي قد يكون أكثر فكاهة من الترفيه التجاري القائم.

إن الحقيقة التي تصفعنا الـيوم تقول لنا مرة أخرى: إن علينا أن نختار موقعنا في الوجود، فـإمــا أن نـكــون وإمــا أن لا نكــون ، لأن الحل المطروح والقيادة الحالية في شأن القضية الفلسطينية يقودان حتماً إلى الإندمــاج فـي الـكـيـان الصهيوني ، والالتحاق بركب المنتصر الذي قهرنا بالسلاح الفتاك دهراً ، ثم روضنا إلى شـبـاكــه تـحـت شعار السلام والاستقرار والسوق الشرق أوسطية.

إن العالم اليوم لا يعترف إلا بلغة القوة ومفرداتها ، ولا يؤمن إلا بـجـبـروت المنتصر الذي يمارس استعماره بشتى الطرق والوسائل السياسية والاقتصادية والإعلامـيـة ، ومــن كــان يصدق أو يلهث وراء المبادىء

والشعارات فعليه أن يتأمل في واقع البوسنة ، ودفاع »مانديلا« السابق عن حق فلسطين فـي الوجود وتجريم الصهيونية الغاشمة وجرائمها.
لازلــت أتـذكــر دفـــــاع بعض الدعاة والإسلاميين الحار عن »مانديلا« الذي وقف في وجــه الصهيونية واليهود ، أما اليوم فالأحداث المتوالية والحـقـائــق الــدامـغـة لا تفـسح مجالاً لأنصاف الحلول أو التمييع أو التسطيح ، ولهذا نال شـعـب افريقيا الجنوبـية حريته وفق قانون ومعايير الغرب النصراني ، بينما نال شعب فلسطين ومجاهدوه المصرون على المقاومة هدية رمزية وهي قوة قمع تطارد فيه روح الإســـلام الــذي هو المستهدف في هذا الصراع ، وشتان بين مظلوم ينال حريته ، ومـقـمـوع يصب عليه مزيد من القهر والعسر الذي لابد أن يعقبه اليسر ، حسب وعد الله المحتوم.

نـص شـعـري

.. في الغابـة الجـديدة ..

فيصـل بن محمد الحجـي

أنا في الـغــابـة قـد أحـــدق بي خـطـرٌ يـُـنـذرنـي بـالـعَـطـَـب
أنا في الغابـة وحــدي أعــــزلٌ خائــفٌ مـضـطـربٌ كالأرنـب
ضارياتُ الغاب حولي كـشـّـرت عـن نـيـــــوب كسياط اللهـب
لـيـس لي مـنـهــا نصيرٌ مـنـقـــذٌ ليس لـي في طوقها من مهـرب
والردى يـرقـبـني من مـخـلـب أو مــن الـنـاب وسُم الـعـقـرب
ما جدى الحيلة حين امتزجت قـــوة الـلـيـث بمكر الثـعـلـب؟
آه يــا ربـي أغــثـــنـي.. إنـني تـائبٌ.. والأمن أقصى مطلبــي
فبدا (سعدٌ) صديـقـي قـادمـــاً حاملاً سـيـفــاً شديدَ المضــرب
فـتـعـانـقـنـا فيـا.. يا مرحبـا بصديــق مُـسعف في الكُـــرَب
وجـلـسـنــا بـأمـــان راســـخ وتوارى الخوف خَلفَ الحُجُب
وتـذاكـرنــا لـقــاءات الصبـا وتهــاديـنـــا قــطـوفَ الأدب
واخـتـلـفـنـــا بحديث عابـــر وتـشــاتـمـنــا لأدنـــى سبب
وتـفـرقـنــا كما يقضي الـجـفـا عـنـدهــا أيقنتُ أني عــربي!!
***
لـم تكن أعمالنا تـودي بـنـــا لــو تـخـلـقـنـا بـأخلاق النبـي!

المسلمون والعالم

رسـائل عاجـلة
إلى الشعب اليمني المسلم

أيـمـن بـن سـعـيـد
وصلتنا هذه المقالة من الكاتب الكريم، وهي فـي الحقـيـقـة لـسـان حــال كل مسلم مخلص لإخوانه شعب اليمن ، لعل الله أن ينفع بها كل من تصل إليه منهم .
-الـبـيـان-
أيها الشعب اليمني المسلم في كل مكان ، يسرنا أن نبعث إليك هذه الـكـلـمـات مـن منطـلـق الأخــوة ، وواجب المحبة التي فرضها الله بين عباده المؤمنين رغبة منا في القيام بواجب النصح الذي أوجبه الله تعالى على المؤمنين تجاه أنفسهم وإخوانهم ، مخاطبين من خلالها إيمانك وحكـمـتـك لمـا جاء في الحديث الصحيح: (الإيمان يمان...) ، مذكرين بسابقتك في التمكين لهذا الدين ونـشـره فـي جهـات كثيرة من الأرض ، وببذلك في سبيل تحقيق ذلك النفس والنفيس، ونحن أيها الشعب المؤمن الأبي حين نتوجه إليك بتلك الرسائل نخاطبك من خلالها بأسلوب الناصح المشفق عليك، وحاشا لله أن يكون هدفنا الـتـعـالـي عـليك، أو التشـفـي مـنـك لما ينزل بساحتك ، وذلك لأنك جزء منا ونحن جزء منك ، فما يـصـيـبـك يصيبنا ، ومــا يســوؤك يسوؤنا ، قال -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجســد بالـسـهــر والحمى)، ولذا فإننا نحرص على الوضوح والمصارحة لك قدر طاقتنا، مبررين ذلك بعلمنا لحبك للحق ، وسعة صدرك له ، واستعدادك لقبوله.
أيها الشعب اليمني الـمـسلم: إنا نتابع بقلق وخوف ، ما يقوم به بعض القادة الحاكمين بأمرهم على أرضك من سفك للدماء ، وإزهاق للأرواح وتدمير مكتسبات الأمة وخيراتها ، وكل ذلك من أجل الحفاظ على مناصبهم وتثبيت كراسيهم ، واستمرار نفوذهم ، ونظراً لوجود غبش في تصور الكثيرين وبخاصة من أبنائك تجاه تلك الأحداث ، ووجود تباين كبير في المواقف من شخص إلى آخر ، قمنا بتوجيه هذه الرسائل المختصرة إليك ، والتي نلقي من خلالها بعض الـضـــــوء على ما يمر بك اليوم من أزمة ، محاولين تنبيه أولئك الأشخاص إلى الموقف الحق في هذا الأمر الجلل ، علها أن تجد قبولاً فينفع الله تعالى بها ويسدد ، وجاء الآن دور الشروع في تلك الرسائل:

الرسالة الأولى الذنوب سبب الأزمة:

أيها الشعب اليمني المسلم من الأمور المتقررة فـي الشرع أنه مانزل بلاء بأحد فرداً أو شعباً إلا بذنب ، وما حلت مصيبة إلا بمعـصـيـــة ، قـال تعالى: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير))[الشورى: 30]
ولقـد انتشر في الساحة اليمنية في السنوات الأخير العديد من الذنوب والمعاصي فمن قيام الدولـــة الموحدة على دستور علماني مشبوه كان

لعلمائك الأفاضل منه موقف صريح معروف ، إلـى إفساح المجال للأحزاب العلمانية على اختلاف مشاربها لتقدح في الدين ، وتجذب إليـهـــا بعض أبناء المجتمع ساعية إلى إقصاء شرع الله تعالى ونشر التغريب والعلمنة في المجتمع تحت شعاراتها البراقة المختلفة كالتحديث والتطوير والعدالة... الخ ، إلى محاربة الدعاة والـمـصلحين ومحاولة إجهاض مكتسبات الأمة الموافقة للشرع في التعليم وغيره ، إلى تجديد الكـنـائــس في بعض الـمـدن والسماح لوجود نشاط تنصيري قوي في القطاع الصحي وبين العاملين مـــن الـمـسـلمين في شـركــــات التنقيب عن النفط ، إلى انتشار الربا ، وتفشي صناعة الخمور وتعاطيها ، إلى عودة ظهور أهل البدع والخرافة وبقوة من رافضة وصوفية وإسماعيلية ، إلى ضعف القيام بواجب الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم ، إلى ازدياد تعلق كثير من الناس بالدنيا وقـلــــة استمساكهم بتعاليم الشرع ، إلى اختلاف أهل الخيروتفرقهم وعدم اجتماعهم على كلمة سواء ، إلى غير ذلك من المنكرات الكبيرة والصغيرة التي لا تخفى .

أيها الشعب اليمني المسلم: إن الطريق إلى تجاوز المصائب والبلايا التي حلت بك يكمن في العودة الصادقة على وجـــه الـسـرعــة إلى الله تعالى ، والالتزام بكل جد بشرعه المطهر ، والقيام بنبذ تلك المنكرات ومقاومتها سواءً أكانت عامة أو خاصة ، وذلك لأنه ما دفع بلاء إلا بتوبة ، قال الله تعالى: ((فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين))[يونس: 98].

الرسالة الثانية ضرورة الالتفاف حول العلماء والدعاة:

أيها الشعب اليمني الأبي: إن العلماء الـنـاصحـيـن ، والدعاة المخلصين هم مصابيح الأمة وشموعها التي تضيء لها الطريق في الظلم ، وتقودهـــا إلـى بـر الأمان في النكبات والفتن، وقد أمر الله تعالى بسؤالهم والأخذ عنهم في قوله عز وجل: ((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون))[النحل: 43]، وذلك لأنهم العالمون بدين الله تعالى ، العاملون بتعاليمه ، الداعون إليه ، المنافحون في سبيل تمكينه ، المحاربون لأعدائه ، فوجب لذلك الالتفاف حولهم ، للأخذ عنهم ، ومناصـــرتهم وشد أزرهم أمام أعدائهم الذين يكيدون لهم ، ويمكرون بهم ، لا لأشخاصهم ، وإنما لما هم عليه من دعوة للحق ومنافحة للباطل.

أيها الشعب اليمني: إننا حين ندعوك إلى الالتفاف حول علمائك ودعاتك الـمـخـلـصـين، نحذرك في الوقت نفسه من فئة تريد الاندساس في صفوفهم لتمزيق كلمتهم، وتحذير الناس من الأخذ عنهم، وهم قلة ولله الحمد، ولكن علامتهم الواضحة التي لا يستطيعون إخفاءها بالإضافة إلى انحـــراف مـنـاهـجـهـــم وما هم عليه من خرافات وبدع وحب لمتع الحياة وشهواتها ولاؤهم لأعداء الدين من العلمانيين والاشتراكيين ، ومحاولة تبرير انحرافاتهم

وجرائمهم في حق الدين والأمة ، والسـعــي إلـى جـعل سيئاتهم في نظر الشعب حسنات ، وشرورهم خيرات.

الرسالة الثالثة الوحدة مطلب ومكسب:

أيها الشعب اليمني: إن الوحدة بين الشعوب الإسلامية ومنها الوحدة بين اليمنيين مطلب يدعو إليه الشرع ، ويحث عليه العقل ، وتحتمه المصلحة وهو طريق العودة إلى الأصل بعد أن مزقه الأعداء وشتته المستعمرون إلى دويلات هزيلة،إلا أن الوحدة التي تقوم على دستور علماني مشبوه وقيادات وأحزاب لا هم لها إلا ذواتها وأطماعها الشخصية ، لن تؤدي إلا إلي مزيد من الفرقة والتمزق ، ولن تكون الوحدة عندها إلا وســيـلـة تتعارض أو تتوافق مع هوى القيادات ، وتتناقض المواقف بالتالي بحسب ما تقدمه هذه الوحــدة باعتبارها وسيلة يستخدمها كل طرف سلباً وإيجاباً في صراعه مع الأطراف الأخرى ، وتـبـقــى الوحدة الحقيقية التي تجمع للأمة قوتها وتصون حماها ويحكم فيها شرع الله ومنهجه ، مطلباً للأمة ومكسباً تحرص عليه وتسعى إليه ، مهما سببت هذه النماذج المشوهة من انطباعات سيئة عن الوحدة.

الرسالة الرابعة الأخوة الإسلامية أولاً:

أيها الشعب اليمني: أوجب الله تعالى التآخي والتآزر بين المؤمنين ، ودعاهم إلـى الـتـواد والتناصر ، فقال عز وجل: ((إنما المؤمنون إخوة))[الحجرات: 10] ، وقال سبحانه: ((والـمـؤمـنــون والـمـؤمـنـات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..))
[التوبة: 71] ، وحذر تعالـى مــن تأخـيــر مرتبة تلك الأخوة الإيمانية ، وقيام الشخص بتقديم أخوة النسب أو الوطن عليها ، فـقــال عـــز وجل: ((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتـي الله بأمـــره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين))[التوبة: 24].

ولقد أحدثت الأزمة اليمنية شرخاً في مبدأ الأخوة الإيمانية لدى أفراد كثيرين ، حيث ظـهـــرت الكراهية ، ووجدت نفوس مريضة ترضى بنزول البلايا وحلول المصائب على الآخـــرين ، بل وتتمنى حدوث ذلك بهم ، بالإضافة إلى كونه قد برز في الساحة دعاة القبلية والمناطقية ، وبدأ أشرار بإثارة التعصب المذهبي بعد أن كاد أن يخمد ، رغبة منهم في تفجير الوضع وقيام الحرب الأهلية بين أبناء القبائل والمناطق والمذاهب المختلفة ، ولعل أكبر الجـهـــات جرماً وأعظمها تسبباً في ذلك الإعلام الكاذب الذي تأثربه الكثيرون ممن ضعف وعيه ، وغاب لديه أثناء تبنيه المواقف وحكمه على الآخرين الانطلاق من نصوص الشرع وجـعـلـهـا دليلاً وحاكماً في ذلك ، أو ممن ليس بضعيف

الإيمان ولكن قلت معرفته بالمقاصد وضعفت نظرته إلى المرامي والغايات التي يطمح إلى تحقيقها من يقف خلف تلك الوسائل الإعلامية المختلفة.
أيها الشعب اليمـنـي: وعلى ضــــوء ذلك فإن الحل يكمن في الاستمساك بنصوص الكتاب والسنة ، والتأسي بهدي سلف الأمــة في العلم والعمل والدعوة والمبادرة إلى تقديم الأخوة الإسلامية على جميع الروابط والوشائج المختلفة سـواءً أكانت قبيلة أو منطقة أو غير ذلك، والسـعـــي إلى تطبيق لوازم تلك الأخــــوة من محبة ونصرة وتكافل في أرض الواقع ، مع القيام بـنـبــذ مــا وراء ذلك من كراهية وحقد ، وعصبية وتعد على الآخرين في أموالهم أو أعراضهم أو أنفسهم.
أيها الشعب اليمني المحب للحق: يــا ترى هل يبادر من أفرادك من قصّر أو انحرف في هذا الجانب إلى تـلافـي أخـطـائـهـم والتكفير عن زلاتهم؟ هذا ما نظنه بهم ونرجوه منهم

الرسالة الخامسة خطورة تحقق الانفصال:

أيها الشعب اليمني: إن مخاطر كبيرة تنتظرك أنت ، وستنعكس على بلادك حينما يتمكن الحزب الاشتراكي من السيطرة ، حـيــث سيقوم بالقضاء على خصومه ، كما أنها تنتظر جنوب وشرق بلادك في حال تحقق الانفصال وتمكن الحزب من الانفراد بها ، ولعل أبرز المخاطر المتوقعة: تطبيق الحزب لما يسـمـيــــه بمشروع الحزب الحضاري الذي يصفه على ألسنة عدد من مسؤوليه بالتحديث والتطوير وتجاوز النظم القديمة والقيم البالية!! وملخص حقيقة ذلك المشروع: تغريب المجتمع وعلمنته ، وإقصاء شرع الله تعالى ومحاربته وإحداث تغيير في قيم ومبايء شعبنا المسلم عـــن طـريــــق علمنة المناهج وإقصاء أهل الخير والصلاح عن مواقع النفوذ ومراكز التوجيه ، وضرب الصحوة الإسلامية عن طريق تجفيف منابعها ، وتحجيم انتشارها ومطاردة أفرادها بأي ذريعة من مثل: مسـاندتها لمن سيسميهم في حـال قضائه عليهم بالقوى الشريرة أو الاتهام بالـتـطــــرف ودعم الإرهاب... الخ ، هذا بالإضافة إلى تشجيع السفور والاختلاط ، وتمرد المرأة على القيم والمباديء الإسلامية.
وهناك خطر آخر وهو إبراز الحزب لعلماء البدعة والخرافــــة كالرافضة والصوفية حلفاؤه منذ قيام الوحدة إلى اليوم وجعلهم (وجهه الإسلامي) واستخـــدامهم ورقة بيده يضرب بها الحركة الإسلامية السنية على اختلاف فصائلها متى شاء ، كـمــــا أن الحزب سيسعى في حال انتصاره إلى إنهاء جميع خصومه في الشمال والجنوب ، وجـعــــل الساحة فارغة له ولحلفائه ، مما يعني إسالة أنهار من دماء أبنائك أيها الشعب في جهات كثيرة من أرضك.
أيها الشعب اليمني المسلم: ونحن نحذرك من خطورة تمكن الحزب الاشتراكي وكل حزب علماني ، ونقوم بدعوتك إلى مواجهة تلك المخططات بكل سبيل من الآن قـبــــل أن يـأتــي وقت تندم فيه ولات حين مندم ، فإن ذلك لا يعني بحال أننا نؤيد المؤتمر الشعبي ، فكم جـــرّب الـدعـــاة في بلدك

تقلبات قادته المتكررة ، ووعودهم بتصحيح الانحرافات حين تحاصرهم الضائقات ، ثم ما إن ينفك قيد المحنة حتى يعودوا إلى علمنتهم وضلالهم.

الرسالة السادسة يا شعب اليمن أنت مستهدف!

أيها الشعب اليمني الأبي: يا من عرفت بعزتك ، وشجاعتك وقوة شكيمتك ، وعنايتك بما يعينك على حفظ كرامتك سلاحك إنك مستهدف من قبل أعدائك في الداخل والخارج، وإن التنسيق بين العدوين الداخلي والخارجي قد ازداد وبلغ الغاية ، بل قد بدءوا بالفعل في تنفيذ مخططهم ضدك ، فبعد ضرب جيشك يراد تمزيقك ، وإثارة الحروب الأهلية بين فصائلك المختلفة تحت ذرائع شتى كالمناطقية والقبلية والمذهبية لتضعف أولاً، ويتم نزع سلاحك ثانياً ثم يتم ترويضك وسلب عزتك وإذهاب كرامتك ، ليتمكن بعدها أعداؤك من تغيير هويتك وتقسيم أرضك ، وسلب خيراتك ، وفعل ما يشاء أعداؤك بك.
أيها الشعب اليمني المسلم: لقد حاولت القوى الدولية استعمارك ولكنها فشلت في تحقيق هدفها ذاك في جل مناطقك ، فهيأت بعض أبنائك ، وربتهم على عينها ليتآمروا معها ضدك ، فيا ترى هل تقف أمام أهداف أولئك ومخططاتهم كالجبل الأشم فتحرمهم مما يريدون ، ولكننا نعلم أنك لن تتمكن من ذلك إلا باستمساكك بدينك ، وإدراكك لمخططات أعدائك ، وحفاظك على وحدتك وسبل قوتك ، نسأل الله تعالى أن يجنبك ما يريده أولئك لك.

الرسالة السابعة ضرورة اجتماع الدعاة وترتيبهم للأولويات:

أيها الشعب اليمني المسلم: إن الدعاة إلى الله تعالى في صفوفك فئة منك ، ولذا نستميحك العذر بأن نخصهم بهذه الرسالة الأخيرة.
أيها الدعاة إلى الله تعالى في اليمن: إن المسؤولية على عواتقكم كبيرة وإن من أبرز أسباب الأزمة غفلة بعض الدعاة وتقاعسهم عن القيام بواجبهم بالكلية ، وقيام بعضهم بشيء من ذلك ، ولكن من دون ترتيب للأولويات والمبادرة إلى البدء بالأهم قبل المهم ، والواجب قبل المندوب ، هذا بالإضافة إلى عدم التشاور بين الفصائل الدعوية في القضايا المطروحة بهدف التنسيق بين المواقف الذي حال دون التمكن من الوصول إلى اتخاذ موقف موحد حيالها.
أيها الدعاة الصادقون: إن تشتتكم وتفرقكم النابع في غالبه من اختلافات شخصية، وسعي بعضكم إلى إلغاء الأطراف الأخرى ، وجعلها تحت لوائه ، وقيام بعضكم بحصر وظيفته في تتبع عثرات الدعاة والقيام بنشرها وتحذير الناس من الالتفاف حولهم من خلالها مع كون ذلك محرماً في الشرع يمثل خطراً كبيراً على وجودكم في الوقت الراهن، ويهيء لبعض الجهات استغلال بعضكم مرحلياً لضرب الآخر ليتم في ما بعد حفر الخنادق لمن بقي منكم وإلقائهم فيها.

أيها الدعاة المخلصون: إن دوركم داخل شـعـبـكـم الـيـمـنـي يـجـب أن يكـــون مبنياً على ركيزتين:
الأولى: تعليم الناس العقيدة الصحيحة التي كان عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحــابته الكرام ، والقيام ببنائها في نفوسهم ، والسعي إلى إيجاد لوازمها وآثــارهــا فـي حياتهم العامة والخاصة.
الثانية: هدم الكفر والبدع والمعاصي ومحاربتها والقيام بتحذير الناس منها وبالحكمة، فإن أغفلتم هاتين الركيزتين ، أو قام بعضكم بإحداهن واستهجن واستهان بمن يقوم بالأخـرى فقد زاغ وانحرف.
أيها الدعاة إلى الله تعالى: احذروا فإن الخطر الذي ينتظركم من جراء الأحداث الأخيرة كبير وماحق ، فأعداؤكم يريدون فرض العلمانية في بلادكم ويسعون إلى تجفيف منابـعـكــم وحصاركم ، والتضييق عليكم جميعاً من دون تفريق بينكم ، والإتيان بآخـــريـــن مـــن أهل البلاغة والضلالة ليقوموا بالدعوة إلى باطلهم باسم الإسلام بدلاً منـكـم ، فيا ترى هل تتقون الله وتتنبهون لذلك فتبادروا إلى ترك الشقاق والفرقة بينكم وتعودوا جميعاً إلى الأخذ بصدق بمنهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان في العلم والعمل والدعوة؟
أيها الأحبة: هذا ظننا بكم ، وهذا ما نؤمله منكم ، والله يحفظكم ويرعاكم.
وختاماً أيها الشعب اليمني المسلم: نسأل الله أن يـصـونـك ويحـميك وأن يمكنك من نصرة دينه ، وهزيمة أعدائك الذين يكيدون لك في الداخل والخارج والله يحفظك ويتولاك.
((إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)).

أحـداث راونـدا

رسالة إلى كل من أمن مكر الله

د. يوسـف الصـغـيـرّ

إن الذي يطلع على ما يتعرض له الأبرياء من إبادة في »راوندا وبورندي« لا يملك إلا أن يتأثر ويتألم ويسأل نفسه: ألهذا الحد تنتكس فطرة الإنسان فيقتل لمجرد القتل والانتقام العام؟ ألهذا الحد رخصت الحياة على بني البشر؟!
إن غياب أخلاق المحاربين يدل عـلـى خـــواء الحـضـارة الحالية ، فمعظم شعبي »راوندا وبورندي« تربوا على يد الكنيسة سواء الكاثوليكية أو البرتستانتية وعُمّدَ الناس وغمسوا في الماء المقدس! ونالتهم بركات القُسُس! ومع ذلك فهم أكثر هـمـجية ووحشية لأنهم جمعوا أخلاق الوثنيين مع طبائع الغربيين في إدارة الصراع التي تتلخـــص في الإبادة الجماعية التي

تحل كل إشكال ، لقد كان للإسلام وجود كبير في المنطقة انحسر مع قدوم المستعمر ، أفليس من حقهم أن نهتم بهم لعل الله أن يحدث بعد ذلك أمراً !

الموقع والتاريخ:

تقع »راوندا وبورندي« في وسط افريقيا ضمن المنطقة الاستوائية ، وقــد ساعد ارتفاعهما على اعتدال مناخهما مما يفسر كثافة السكان العالية فيها ، مقارنة بدول الجوار ، حيث تبلغ الكثافة 160 شخص في الكيلومتر المربع ، وتبلغ مساحة »راوندا« حـــوالـي 26 ألف كم2 ، ويقطنها حوالي أربعة ملايين وربع المليون نسمة ، أما »بورندي« فتبلغ مسـاحتها حوالي 27 ألف كم2 ، ويقطنها خمسة ملايين ونصف المليون نسمة ، وقد وصلهما الإســلام في فترة متأخرة مع امتداد نفوذ سلطان عمان وزنجبار ، وكانت السيادة فيهما للمسلمين ، وعندما اتفقت الدول الأوربية في القرن التاسع عشر على توزيع المستعمرات فيما بـيـنـهــا مـنـعـاً للـنـزاعــات ، أصبحت تنجانيقا أو البر التنزاني حالياً من نصيب ألمانيا والكونغو »زائير حالياً« من نصيب بلجيكا ، وحيث أن بورندي وراوندا تقعان بين هاتين المنطقتين ، فقد قام الألمان أولاً بـتـوسـيـع نطاق مستعمراتهم إلى المرتفعات ، فتمت لهم السيطرة على كل من بورندي وراوندا ، ونظراً لقلة الألمان في المنطقة ورقي المسلمين الحضاري مقارنة بالقبائل الوثنية آنذاك ، فقد اضطر الألمان للاستعانة بالمسلمين من أجل شغل الوظائف المختلفة ، وعندما قام الألمان بـمــد خطـوط السكك الحديدية في المنطقة ، ازدهرت أحوال المسلمين وانتشروا في أنحاء البلاد وكثر دخول الوثنيين في الإسلام.

وقد قام المسلمون بعدة ثورات ضـــد الاستعمار الألماني بدءاً من حركة »بشر بن سالم« عام 1307 هـ وانتهاءً بحركة »ماجي ماجي« الــوطـنـيـة التي أخمدها الألمان بعنف وهمجية ، حيث قاموا بإحراق القرى وقتل الألوف من المدنـيـيـن ، وقد أدت هذه الحركة إلى تغير سياسة الألمان ، فعمدوا إلى المهادنة والسماح من جديد بحرية الدعوة ، وقد استمر هذا الوضع حتى قامت الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا وحلفائها من الأتراك والنمساويين من جهة وبريطانيا وفرنسا وحلفائهما من جهة أخرى.

وكما كانت أوروبا مسرحاً للحرب فقد كانت المستعمرات أيضاً مجالاً لحرب أخرى حيث قام الانجليز باحتلال تنزانيا ، بينما استولى البلجيك على راوندا وبورندي ، وهكذا تمت تصفية المستعمرات الألمانية في افريقيا ، وتم تثبيت هـــذا الوضع بعد الحرب عن طريق إصدار عصبة الأمم قراراً يجعل بورندي وراوندا تحت الانتداب البلجيكي .

وهنا زاد الضغط على المسلمين في المنطقة ، حيث قام البـلـجـيـكـيون بالقضاء على الممالك الإسلامية في شرق الكونغو التي تحاذي راوندا وبورندي وهدمت الـمـســاجد ، وأزيلت علامات الوجود الإسلامي ، أما في بورندي وراوندا فقد نشطت الإرساليات التبشيرية لمحاربة التعليم الإسلامي، وقام

الاستعمار بمصادرة أراضي المسلمين بحجة إقامة مشاريع عامة ، وأصبحت النصرانـيـة ومـدارس التـبـشـيـر هي السبيل للحصول على كثير من المساعدات والميزات ، ولهذا دخل كثير من الوثنيين ظـاهـراً في النصرانية حتى وصلت نسـبتهم إلى 70 % مقارنة مع 20 % للمسـلمين ، والباقي مـنـهـم وثنيـون وحلت (لغة البلجيكيين) محل السواحلية (لغة المسلمين) ، وقبيل خروج الاستعمار ظاهراً في عام 1382 هـ بدأت تظهر آثار السياسة الاستعمارية التي كان لها آثارها المدمرة بعد حوالي 32 عاماً.

جـذور المأسـاة:

إن أساس المأساة هو الاختلال الواضح في التوزيع السكاني وتوزيع السلطة ، ففي بورندي وراوندا هناك قبيلتان تشكلان الأغلبية الساحقة من السكان هما: قبيلتي الهوتو (16 % منهم مسلمون) وهم من أصل زنجي والتوتسي (3 % منهم مسلمون) وهم من أصل حامي ، وعلى الرغم من أن الهوتو أكثر عدداً فإن السلطة في يد التوتسي ، حيث أن ملكي بورندي وراوندا سابقاً كانا من التوتسي ، وقد اشتعلت الحرب بين الجانبين قبل خروج الاستعمار مع اختلاف في نتيجتها في بورندي عنها في راوندا ، وإليك ملخصاً لما جرى في كل بلد:

أولاً بـورنـدي:

تبلغ نسبة التوتسي في بورندي 25 % ، بينما تبلغ نسبة الهوتو 65 % من السكان ، ومع ذلك استطاع التوتسي الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة الكلية على الجيش والشرطة والمناصب العليا ، مع تحول النظام إلى جمهوري عسكري ونظراً للاضطرابات المستمرة ومطالبة الهوتو بالمساواة ، فإن السلطة رضخت مؤقتاً فتم اجراء أول انتخابات ديمقراطية في البلاد في يونيو 1993 م ، فاز بها حزب »الجبهة من أجل الديمقراطية« برئاسة »ميليشو نادادي« وهو من الهوتو وبالطبع اعتمدت خطة الرئيس على إدخال الهوتو في الجيش والشرطة التي كانت تقريباً وقفاً على التوتسي ، ولكن بعد أربعة أشهر قام الجيش الذي يسيطر عليه التوتسـي بانقلاب عسكري تم خلاله إعدام الرئيس وستة من الوزراء وشكل قادة الانقلاب مجلساً للإنقاذ الوطني! برئاسة وزير الداخلية ، وفـرّ بقية الوزراء إلى السفارات الأجنبية في العاصمة »بوجميورا« ، وبعد معارك متصلة فشل الانقلاب وتراجع قادة الجيش عن المحاولة ، وحاولت القيادات التبرؤ من الانقلاب بدعوى أن العناصر الانقلابية غير منضبطة ، ومع ذلك استمرت أعمال القتل المتبادل بين الهوتو والتوتسي ، وقام الجيش الذي يسيطر عليه التوتسي بأغلب أعمال القتل ، وقد قتل أكثر من مئة ألف مدني أغلبهم من الهوتو ، ولجأ أكثر من سبعمائة ألف إلى خارج البلاد ، وكثيرٌ منهم إلى راوندا المجاورة ، واستقرت الأحوال مؤقتاً على بقاء الرئاسة بيد الهوتو حيث تولى الرئاسة »سيبريان نتارياميرا« وهو من الهوتو ، مع بقاء السلطة الحقيقية في يد التوتسي.

ثانياً راونـدا:

تبلغ نسبة الهوتو في راوندا حوالي 90 % من السكان ، ولذلك فقد حسم الأمر لهم مبكراً ، حيث قاموا بثورة على ملوك التوتسي الذي كانوا يستأثرون بالسلطة والمال ، ولم يتدخل البلجيكيون على الرغم من استعمارهم للبلاد ، وفي عام 1961 م أجريت انتخابات تم على إثرها الغاء الملكية وتولى الهوتو الحكم ، ولم يستسلم التوتسي فقد كانت غاراتهم مستمرة من الدول المجاورة ، وبخاصة بورندي التي يسيطرون عليها ، وفي عام 1973 م تولى الحكم الجنرال »جوفنال هابيا ريمانا« بعد أن قام بانقلاب عسكري ، ونهج نهجاً اشتراكياً ، وكانت تربطه صداقة مع الرئيس الفرنسي »فرانسوا ميتران« ، مما مكنه من الاعتماد على الدعم الفرنسي في الوقوف في وجه غزو التوتسي لراوندا عام 1990 م ، حيث قامت الجبهة الوطنية الراوندية المكونة أساساً من قبائل التوتسي بغزو راوندا قادمة من أوغندا التي تولت تسليح الجبهة.

وهكذا تعقد الوضع حيث أن التوتسي في كلا البلدين يحاولون استعادة سيطرتهم المطلقة ، وقد حصلت المأساة الأخيرة عندما تعرضت طائرة الرئاسة الراوندية للهجوم عند محاولتها الهبوط في مطار العاصمة الراوندية »كيجالي« وذلك بواسطة إطلاق الصواريخ عليها ، وقد كانت الطائرة تقل كل من رئيسي راوندا وبورندي وهما من الهوتو ، وهنا أشارت أصابع الاتهام إلى التوتسي وبدأ ت على الفور مجازر رهيبة في كل من بورندي وراوندا ، وبدأ مسلسل القتل ليس فقط على الهوية بل على الشبه فقط ، فمن يشبه الهوتو يتم قتله من قبل التوتسي ، ومن يشبه التوتسي يتم قتله من قبل الهوتو ، وقام حرس الرئيس الراوندي مع مجموعات من الهوتو بارتكاب مجازر رهيبة استعملت فيها الأسلحة النارية والسكاكين ، بل ومفكات »البراغي« أيضاً ، ولم ينج من المذابح المتبادلة طفل أو امرأة أو عاجز ، وبلغ عدد القتلى حوالي 200 ألف قتيل ، بل ويصل في بعض التقديرات إلى 500 ألف إنسان ، وأصبح من المعتاد أن ترى أكوام من الجثث مكدسة في الطرقات ، واستعرت الحرب من جديد بين جيش الحكومة وقوات الجبهة القادمة من أوغندا ، وسيطرت الجبهة علي حوالي نصف البلاد ، ووصلت إلى العاصمة ، ومازال القتال يدور فيها مما أدى إلى نزوح مئات الآلاف من الناس إلى تنزانيا المجاورة.

ولسائل أن يسأل: أين الأمم المتحدة التي تزعم أنها المسؤولة عن حفظ أرواح المستضعفين وإقامة السلام بين بني البشر؟ والجواب هو أن الأمم المتحدة موجودة في عاصمة راوندا منذ فشل حملة التوتسي السابقة ، ولها قوات من بلجيكا وبنجلاديش وغيرهما ، وقد قامت بمهمتها خير قيام! فقد قامت القوات البلجيكية بمساعدة قوات فرنسية باجلاء الأجانب (الغربيين) ، ثم انسحبت أيضاً تاركة القوات البنغالية تقوم بمحاولة حماية المدنيين بدون

جدوى ، ومع استمرار المجازر استمر التغاضي عما يجري ، فالقاتل والمقتول أفارقة وإن كان غالبيتهم من النصارى أتباع الكنيسة السوداء إلا أنهم من الجنس غير الأبيض!

أخـيـراً:

لعل القارىء الكريم يلاحظ أن ممارسة المجازر الرهيبة التي تعتمد على الإبادة الجماعية التي لا تفرق بين ذكر وأنثى ، ولا بين صغير وكبير ، ولا بين مسلح وأعزل ، يكاد يكون القيام بها وقفاً على معتنقي النصرانية ، وذلك لعدم وجود الحجة التي يواجهون بها الخصم ، ولهذا تلجأ إلى خيار الإبادة ، وهذا ما حصل في الأندلس وفي أمريكا الجنوبية وفي البوسنة ، محاولات فاشلة جرت وتجري ، ولهذا يستطيع الفرد العادي أن يستنتج أن الإنسان في عرف الساسة الغربيين هو اليهودي أولاً ثم النصراني الغربي ثانياً ، ثم النصراني ثالثاً ثم من يحقق مصالحهم رابعاً ، وما عداهم فهم مجرد أوراق نقدية ليس لها رصيد.

المسلمون والعالم

شـاهـد عـيـان:

هكذا تهدم مساجد أهل السنة في إيران

د. عبد الله المكرانـي

قامت السلطات الإيرانية مؤخراً بهدم مسجد »فيض« الخاص بأهل السنة في مدينة »مـشـهـد«، والهـجـوم الـمـسـلح وإراقة دماء المصلين في مسجد »المكي« أكبر مسجد جامع لأهل السنة في »زاهدان« عاصمة »بلـوشـتـان« الإيرانية ، واحتلال المسجد والمدرسة الدينية التابعة له من قبل »الحرس الثوري« الإيراني والـمـخابرات الإيرانية وإن كان قد تأخر نشر المقال لظروف فنية فإنه يسرنا إيضاح هذه المؤامـرة كـمـا وضـحـهـا الأخ الـكـاتـب جــزاه الله خـيـراً الـبـيـان

((ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم))[البقرة: 114].

مسجد الشيخ فيض في مشهد هو مسجد جامع مر عليه قرابة مائة عام وكان مـثـار جــدل عنيف في الأعوام الأخيرة بين الحكومة الإيرانية المتمثلة في المخابرات من جهة وبين أهل الـسـنـة والجماعة المستضعفين تحت الضغط الرافضي المتزايد من جهة ثانية ، وربما عاد سبب ذلك إلى ما يلى:

فراغ إيران مــن الحرب الخارجية من جهة ، وعدم تحملها لأهل السنة في مدينة كمدينة »مشهد« من جـهــة ثانـيـة ، وكذلك ، قد يعود الأمر إلى حشود المصلين الذين كانوا يملؤون المسجد عند أداء الفرائـض فـي كـل مكان ،

بالمقارنة بعدد المصلين الشيعة الذين لا يعدون صلاة الجمعة فرضاً عينياً بسبب غيـبـة الإمام المنتظر بزعمهم الذي هو في تناقص مستمر، هذا مـن جانـب ، ومن جانب آخر وجود هذا المسجد لأهل السنة في قلب مدينة مشهد ، وقرب مزار الإمام »الرضا« قبلة آمال القوم ، ووجوده قرب بيت والد خامنئي مرشد الثورة الحالي ، وإحـاطـــة المسجد بجيران في غاية التعصب ، حيث أصبح المسجد مركز تجمع لأهل السنة حيث يلتقون لأداء الصلاة فيه ، لذا غيرت الحكومة قبل سنة واحدة خط سير الطائرات الذاهبة إلى الحج ، التي كانت تحمل حجاج السنة من بلوشتان وخراسان ، من مشهد إلى كرمان ، كي لا يجتمع أهل السنة في مسجدهم في مشهد ، كل هذا جعل الدولة تفكر في هدم المسـجــد ، وهناك قرار غير معلن ينص على أن أي مدينة تكون نسبة السنة فيها أقل من 40 % يجـب أن لا يسمح لهم ببناء مسجد فيها ، والتلاعب في تحديد هذه النسبة مسألة سهلة بالنسبة لهم ، والكلام السابق هو كلام محافظ مشهد وهو ابن آية الله جنتي المشهور بتعصبه ضد أهل السنة هناك.
وقبل هدم المسجد اقترحت المخابرات الإيرانية مبلغاً من المال يأخذه أهل السنة بدلاً من المسجد كأنه محل تجاري ، فلا قداسة ولا احترام!! ولكن العلماء أفتوا بأن تبديل المسجد أو بيعه غير جائز، ولقد صادرت المخابرات تلك الفتوى،فلم تصل إلى المسؤولين الرسميين، واقـتـرحـوا أيضاً أن يعطوا لهم أرضاً في أطراف مشهد ، أي بعيداً عن مركز المدينة ، ولم يلق أيضاً ذلك العرض قبولاً من هيئة أمناء المسجد ، ومن علماء بلوشتان وخراسان وغيرهم من أهل السنة، ولـقــد اسـتـصـدرت المخابرات بعض الفتاوى من بعض المشايخ المغمورين والمرتزقين ، حيث أفتى أولئك بإعـــدام أفـضــل العلماء والشباب بتهمة »الوهابية« ، وهذه حجتهم كلما أرادوا قتل عالم من أهل السنة ، وفي ليلة الاثنين 19 شعبان 1414 هـ الموافق لذكرى وصول الخميني إلى إيران ، حيث تحتفل الدولة بتلك المناسبة أشد الاحتفالات ، وتسمى في إيران »عشرة فجر الثورة« ، في ليلة كهذه يضيع كل شيء ، حاصرت المخابرات الإيرانية مسجد فـيـض لأهـــل السنة في مشهد حـصـاراً عنيفاً ، ثم استقدمت 15 جرافة كبيرة وبعد منع الناس من التردد حول المسجد بدأت الـجـــرافـــات في العمل من خارج المسجد طوال الـلـيـل في هدم الجدران والأبواب باتجاه الداخل دون أن يفرغ المسجد من المصاحف والسجادات والمكتبة الموجودة فيه واقتيد إلى السجن كل من كان في المسجد غير من استشهد تحت الجرافات ، وكل من كان يأتي ويسأل عن سبب الهدم حيث علم خبر ذلك في الليـلـــة نفسها هاتفياً من خادم المسجد الذي كان في الداخل قبل الهدم.
انتشر هذا الخبر المؤلم كالصاعقة في المناطق السنية التي تقع في الحدود الإيرانية ، حيث الزحف الشيعي مـسـتـمــر منذ العهد الصفوي إلى يومنا هذا

ويتعرض أهـــل السنة لأنواع الضغوط لإبعادهم عن المراكز الداخلية أو للتهجير إلى خارج البلاد.
في يوم الثلاثاء الأول من فبراير 1994 م بدأت احتفالات الحكومة ، إلا أن هذا الحادث المؤلم أدمى قلوب أهل السنة (وكثير من المعارضين الذين يكرهون النظام أشد من غيرهم) ، ممن كانوا يتعرضون أيضاً لضغط وقتل وتعذيب ، والغريب أن (دعوة الأخوة) بين السنة والشيعة لم تزل على أشدها من قبل الحكومة تزويراً وخداعاً ، وكل عالم سني إذا تكلم بشيء من الحـــق يلقـى وبالاً عظيماً لأنه يفرق بين الأخوة!! وهكذا سجن وأعدم علماء وشخصيات بارزة إما بتهمة الوهابية أو التفرقة بين السنة والشيعة أو التجسس وهذه التهم الجاهزة لكل من لم يسمع لهم ويطيع ، كالأستاذ بهمن شكوري والعلامة أحمد مفتي زاده والعلامـــة آية الله البرقعي الذي كان من كبار مراجع الشيعة وتحول للسنة قبل الثورة وكتب رداً عـلـى عقيدة الشيعة وله كثير من المؤلفات والكتب والمقالات ، والدكتور علي مظفر يان الطبيب الحاذق الذي تحول للسنة قبل الثورة أيضاً وأعدم ، وعشرات من هؤلاء الذين نحسبهم شهداء فضلاً عن المسجونين والمنفيين ، و الآن لنرجع إلى ما نحن بصدده.
انتشر خبر هدم مسجد فيض بالهواتف والأفواه ، إلا أن الصحف ولضغوط الحكم الجائر في إيران لم يقدروا على عمل أي شيء مهم يحول دون تخريب المسجد ، أو إعادة بنائه كما حدث في مسجد (حضرت بال) أو مسجد بابري في الهند ، وقال أحد الـسـيـخ فـي زاهـــدان: إن الحكومة الإيرانية بيضت وجه حكومتنا! ، ومع هذا الجو الخانق الذي يخرس أدنى صوت أو اعتراض تفجر حزن أهل السنة وكانوا يبكون في كل مكان، وبدأوا بإغلاق محلاتهم التجارية في بعض المدن السنية ، وبخاصـة فـي زاهدان عاصمة بلوشتان الإيرانية وبدأ الناس بالتجمع حول المسجد المكي والمدرسة الدينية التابعة له والمجاورة للمسجد ، اللذين بناهما الشيخ عبدالعزيز ملا زاده رحـمـه الله الزعيم الديني والسياسي لأهل السنة في بلوشتان ، وكان الناس يلقى بعضهم بعضاً بوجوه حزينة وبغيظ مكظوم.
وفي صباح الثلاثاء الأول من فبراير 1994 م حـدث اجتماع شعبي ديني خلافاً لما أعلنته صحف الدولة التي افترت عليهم بأنهم من الـمـنافـقـيـن ، أي من »منظمة مجاهدي خلق اليسارية« ، ثم غيرت لهجتها فوراً وافترت عليهم بأنهم من الأشرار والمهربين ، تجمعوا حول مسجد المكي وفي داخل المدرسة الدينية وبدأ عدد من المشايخ يهدىء الناس الذين كانوا يتفجرون غضباً ، وبادىء ذي بدء لم يفـتحـوا باب المسجد للناس ليتفرقوا ، وقال خطيب المسجد إني أخاف أن تحـــدث حـادثـة تنسينا قضية مسجد فيض ، لكن أعداد الناس بدأت تتزايد باستمرار إلى أن فتحوا أبواب المسجد كي لا يشتبك الناس مع القوى الحكومية التي حاصرتهم من كل جهة ، ولا يكونوا هدفاً لطلقات حاقدة من حرس الثورة والمخابرات ، وذهب خطيب الجامع

إلى حشد الناس ووعدهم بأن يتصل بالمسؤولين ليأتوا إلى الناس ويحدثونهم ويقنعونهم ، ومنذ الصباح الباكر وإلى وقت وقوع الهجوم كان العلماء ووجوه الناس الذين اجتمعوا في مكتب المدرسة الدينية يسعون جاهدين للاتصال بالمسؤولين من المحافظ ومكتب مندوب الخامنئي (الذي يدبر المؤامرات الشيطانية ضد مدارس أهل السنة ومساجدهم) وغيرهما ، ولكنهم لم يجدوا أحداً ، كانوا يسمعون جواباً واحداً وهو: أن دوائر الدولة مشغولة بإقامة احتفالات الثورة ، لكن ظهر بعد ذلك من القرائن أن هذا كله كان جزءاً من المؤامرة المدبرة سابقاً.
ومن جانب آخر وخوفاً من تأزم الوضع سعى علماء السنة إلى تهدئة الناس ودعوهم من خلال مكبرات الصوت إلى الهدوء ، وفي وسط هذا الضجيج وحيال غضب الناس من هدم مسجدهم كأنه لم تكن هناك آذان كثيرة تسمع ، وبخاصة أن شباب المدارس الذين يسمعون الإهانات لمعتقداتهم يومياً من معلميهم قد تفجر غضبهم وحنقهم وكانوا يـبـكــون ، وبدأ الناس برمي سيارات الشرطة بالحجارة وكسر الزجاج ، وأخذوا ينزلون أعلام الـدولــة المرتفعة فوق الدكاكين بشأن احتفالاتهم ، ثم ذهب بعض العلماء والمصاحف بأيديهم إلى حشود الناس الذين تحمسوا كثيراً وكانوا يمنعونهم من المظاهرة وكسر الزجاج.. كل هذا لأنهم كانوا يعرفون حقد الدولة وخططها.
وقال أحد شهود العيان أنه رأى شخصاً كلما كان الناس يمنعونه من كسر الزجاج لم يكن يمتنع عن ذلك حتى منعوه بالقوة ، وإذا بجهاز اللاسلكي يقع من تحت إبطه وكان يلبس اللباس البلوشي المحلي ، ولما عرف الناس أنه من المخابرات الإيرانية ويكسر الزجاج ، ضربوه وإذا بهذا العنصر للمخابرات يطلق النيران على الناس ويهرب ، ويجب أن نعلم أن كثيراً من عناصر المخابرات الإيرانية كانوا يتخفون في اللباس البلوشي ، وكانوا في ذلك اليوم يستغلون عواطف الناس ، ويحاولون استفزازهم لإيقاد الفتنة فتكون لديهم الذريعة لتوجيه سلاحهم إلى صدور أهل السنة باسم الأشرار والمنافقين كما افترت عليهم صحفهم الحكومية التي كذبت فـي نفــس الوقت خبر هدم مسجد فيض في مشهد ، في حين أن المسؤولين كانوا يعترفون بذلك ، ولما سئلوا عما في الصحف قالوا إنها »حرة«!! ((وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون)).
وقبل حادثة إطلاق النار على المصلين في مسجد »المكي« بعدة ساعات تم إخلاء المستشفى الحكومي من المرضى تمهيداً لإدخال الجرحى والقتلى الذين كانوا ينوون قتلهم ، هذا وغيره يدل على أنهم كانوا قد درسوا الوضع بدقة قبل ذلك بشهور ، حتى رتبوا الحادث في أيام الاحـتفـالات إلى أن عرفوا طبائع المدن التي سوف تعترض على هدم الـمـسـجــد، لـيـضـربـوهـا بالحديد والنار ((ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) ، كما أنهم عزلوا زاهدان عن باقي المدن وقطعوا الاتصالات الهاتفية قبل الحادثة بعدة ساعات.

وفي ذلك الوقت كان خطيب الجامع الذي يعد زعيماً لأهل السنة والعلماء ووجوه الناس كانوا مجتمعين في مكتب المدرسة ليحادثوا أي مسؤول حكومي يأتي إلى الناس فيجيبهم بشيء ، إلى أن وصل قائد الشرطة الضابط (غضنفري) إلى مكتب المدرسة وأخبر أنه وجد عبر اللاسلكي بعض المسؤولين وقـال الشـيخ له ليأتوا من غير طريق الشـارع الرئيس الـذي اجتمع الناس فيه خوفاً عليهم كي لا يرمـيهـم الناس بالحجارة ، لكنهم عمداً أو جهلاً والله أعلم جاؤوا عبر الشارع الـرئـيــس ، وفعلاً حدث ما توقعه الشيخ ، ورماهم الناس بالحجارة ، ولكن لا أحد يدري بالضبط هل كانت هذه جماهير الناس حقاً أم أنهم فئة معدة لتقوم بهذا الدور في هذا اليوم؟ وكما أشـــرت سابقاً أن المخابرات كانت تعد لهذه الواقعة كي تضرب أهل السنة من جهة وكي توجه أنظار الناس في إيران إلى هذه المشكلة لينسوا مشكلاتهم وليوحدوا صفوفهم لتفرقهم كثيراً بعد الحرب مع العراق ، ولقد تبين أن الذين جاؤوا ليلتقوا بالناس هم الذين أصدروا الأمر بإطلاق النار أولاً وقبل هذه الحادثة بقليل ذهب أحد العلماء إلى قائد الشرطة ورجاه أن يفرق عناصر الشرطة في المنطقة كي لا يتفجر غضب الناس برؤيتهم ، فأجاب: هؤلاء لا يسمعون! وصاحبه كان يبتسم ، وكأنهم كانوا عالمين بما سوف يجري ، وفي هذا الوقت في الساعة 5.12 ظهراً بالتوقيت المحلي أذن المؤذن كي يخرج الناس من الشارع ويدخلوا المسجد لأداء الصلاة ، وبعد ذلك بقليل سمع الأمر بإطلاق النار من اللاسلكي الذي كان بيد أحد الضباط ، ودخل الناس والعلماء إلى المسجد وأعلنوا عبر مكبرات الصوت أن الشغب وكسر زجاج محلات الناس لا يصح ولا يجوز شرعاً وبدأوا فـي أداء صــلاة الظهر ، وكانوا في الصلاة جماعة حيث بدأت طلقات الرصاص تدوي في الهواء ، ثم يسقط المصلون والأبرياء في داخل المسجد والمدرسة بعد ذلك ، وذهب أحد المشايخ بعد الصلاة وتكلم عبر مكبرات الصوت موجهاً نداء إلى الشرطة أنه يجب عليه ألا يكرر الخطأ ، وأن لا يطلق الرصاص ، فأجابت الشرطة فوراً عبر مكربات الصوت: لسنا نحن الذين نطلق الرصاص وإنما هم المخابرات والحرس ، ثم كنا نرى أسف بعض الضباط بعد ذلك لما حدث ، لأن الشرطة هي القوى النظامية وليست قوى (حزب الله) كما يقولون أو حرس الثورة ، ثم أغرقوا المسجد والمدرسة بدماء الأبرياء خلال ثلاث ساعات متواصلة ، وكانت تشاهد الطائرة المروحية من فوق والجنود من الأرض وسيارات الحرس من أعالي الجبل ومن فوق البنايات، لم يبق من المسجد مكان إلا وأصابه الرصاص، ثم بعد ذلك جمعوا القتلى والجرحى والأسرى ، والله أعلم بعددهم ، ولم يعطوا إلا ثلاث جثث لـيـلاً ومنعوا من تشييع الجنائز ، وبعد ذلك جاؤوا في منتصف الليل ، وأزالوا آثار الرصاص مــن الـجـــدران والأبواب وغيروا زجاج الشبابيك ، ظل المسجد محاصراً حوالي أسـبــوع ثم رفعوا

الحصار وأرغموا خطيب الجامع للحضور لمظاهراتهم وإلا سوف يعملون معه كذا وكذا ، وهذه هي القصة المؤلمة لشاهد رأى الحادثة بعينه.
العجيب الذي لا يمكن تعليله بحال أن يشكك آيات إيران في مساجد السنة ويدعون بأنها الخـطـر الأكبر على عقديتهم ، ولا ينبذون بنت شفه حيال كنائس النصارى وبيع اليهود ومعابد المجوس ، فأي إسلام يدعي هؤلاء وهم يهدمون مساجد الله جهاراً نهاراً؟!

نـداء من أهل السـنة في إيران لإخوانهم المسلمين:

في بيان مهم وزع يوضح الحاجة الماسة لأهل السنة في إيران ، وأن حاجتهم الماسة تتطلب ما يلي:
1- إيجاد إعلام فاعل لأهل السنة على الأقل مسموع باللغة الفارسية.
2- تخصيص قسم للترجمة إلى الفارسية للكتب العقدية والفكرية المهمة.
3- نشر أشرطة علماء السنة مثل (أحمد مفتي زاده) و(عبد العزيز ملازاده) و(آية الله البرقعي) وغيرهم.
4- تدريس أبناء السنة في الجامعات الإسلامية المشهورة.
5- أهمية إيصال المجلات الإسلامية النافعة لهم.
أدركوا مسلمي إيران السنة قبل أن يذوبوا في مخططات الرافضة.
والله المستعان.

قراءة في كتاب

إنفاق العفو بين النظرية والتطبيق

تأليف: د. يوسف إبراهيم يوسف*

عرض: نـورة السـعد

لا يقتصر مفهوم »إنفاق العفو »في الـفـكـر الإسـلامـي عـلـى فـضل المال فحسب ، فآية البقرة ((ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو))(1) لم تقيد العفو بالفائض من المال ، وإن كان المفسرون قد وقفوا بالعفو عند ذلك ، بل إن السنة المطهرة قد وردت صراحة »بإنفاق العفو »من الجهد والإمكانيات البشرية وهو ما يؤكده الدكتور/ يوسف إبراهيم يوسف في بحثه هذا عن »إنفاق العفو في الإسلام« ، وسوف نعرض في السطور الآتية بعضاً مما ورد فيه بإيجاز:
والعفو هو الفائض عن حاجة صاحبه من مال أو جهد أو وقت أو صحة وهو موجود بكمية وفيرة لدى الأمة الإسلامية التي تجاوزت المليار نسمة ســواءاً أكانت تمثل العفو في الجهد البشري أم الموارد النقدية والعينية ، بل إن دور »العفو »من الجهد البشري في بناء المجتمع ، وتمويل تنميته ، أكبر من دور »العفو »في المال لاسيما في مـعـظـم المجتمـعـات الإسلامية ، التي تملك قدراً كبيراً من الاثنين غير أن ثرواتها المادية والمالية غير مستغلة.

ويشير الكتاب إلى أن »العفو »بهذا المعنى يكمن في صور متعددة فليس موجوداً عـنــد الأغنياء فقط ، فالغني يملك فضل المال ، بيد أن الفقراء لديهم مكامن أخرى للعفو تتمثل في الجهد والصحة والمواهب المختلفة في اللسان والجنان ، ولقد فهم الصحابة المعنى الأول من إنفاق »العفو »فاشتكوا إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- قائلين: »يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور«!! لكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- صحح لهم هذا الفهم فقال: »أولـيـس قـد جـعــل الله لكم ما تصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة.. وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة«(2) ، حتى إذا عجزت عن أي عمل »تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك«(3).
إننا إذاً جميعاً داخلون في هذا التكليف قادرون عليه بصور متفاوتة وهذا يعني أن الطاقات الفائضة، والإمـكـانـات الـمـوهـوبــة للإنسان لا يباح للمسلم تعطيلها أو منعها عن خدمة المسلمين، ولا يعفى من المسؤولية من قام بتبديدها في مباح ، أو وضعها في محرم.
إننا والحال هذه مكلفون بالبحث عن ميادين وقنوات لتنفق في سبيل الله جهودنا وأعمارنا وعافيتنا ومواهبنا ، يقول الرسول ص: »من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته« (4) ، ومن هنا فإن كل ما يزيد عن كفاية الـشـخــص مما لديه من إمكانيات يصبح محلاً للإنفاق على مصالح المجتمع (ص 68-73) ويروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : بينما نحن في سفر مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ جــــاءه رجل على راحلة له ، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالاً فقال رسول الله ص: »من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على مــن لا زاد له« ، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل(5).
وهكذا فإن كل فضل من مال أو جهد أو فتوة أو قدرة يجب أن يستغل إسلامياً ليصب في الصالح العام ، فيرتقي المجتمع ، ويبين أثر ذلك على الأفراد. إن المسلم المخلص يترجم عقيدته في سلوك عملي رجاء ثواب الله سبحانه وتعالى وتصديقاً بموعوده ، يوم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره ، وشبابه ، وماله وعلمه.
وإذا أردنا أن نقف على نوع التكليف في مسألة إنفـــاق العفو: هل هو فرض عين أم فرض كفاية؟ فإن المؤلف ممن رجح المذهب الثاني الذي يوجب على كل فرد أن يترصد بالعفو من ماله وجهده فرص التوظيف والتشغيل فإذا وجدت حاجة في الناس بادر إلى سدها ، فإذا سبقه إلى ذلك غيره جاز له أن يبقي العفو الذي لـديــه ، ولا يكون بذلك آثماً ، بيد أنه يظل يتحرى الفرص لتشغيل ما لديه. (ص 58،59)
ويوجب الإسلام البدء بالإنفاق الاستهلاكي على النفس ، ومن تلزم نفقته فإذا وجد »عفواً« بعد ذلك أُخْرِجَتْ الزكاة بشروطها ، وما بقي فوقها فإن المسلم

يفاضل في إنفاقه بين الإنفاق الاجتماعي والإنفاق الاستثماري بحسب الظروف الاجتماعية وأحوال المسلمين من حوله ، والمقصود بالإنفاق الاجتماعي هو: إسهام المسلم في الإنفاق على مصالح المجتمع ، ويعني الإنفاق الاستثماري: الإنفاق على تكوين رأس المال ، وزيادة قدرة المرء على توليد الدخل الشخصي ، وهذا ما أرشد إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- من حديث صاحب الحديقة إذ قال: »فأنا أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكـــل أنـا وعـيـالـي ثلـثاً وأرد فيها ثلثه«(6). (ص 56،57)
وإن في المال حقاً سوى الزكاة كما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه وإن الحديث الـــذي يقول: »ليس في المال حق سوى الزكاة« صحته: »في المال حق سوى الزكاة« ، أما كلمة »ليس« فــزيدت في الحديث عن طريق النسـاخ وشاع الخطأ بعد ذلك ، قال بهذا فضيلة الشيخ القرضاوي متابعاً للعلامة الشيخ أحمد شاكر، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من واجبات المال غير الزكاة: »تجب النفقات للأقارب والزوجة والرقيق والبهائم، ويجب حمل العاقلة وقضاء الديون ، ويجب الإعطاء في النائبة ، ويجب إطعام الجائع وكـسوة العاري فرضاً على الكفاية... إلى غير ذلك من الواجبات المالية«. وقال الإمام مالك رحمـه الله : »يجب على كافة المسلمين فداء أسراهم ولو استغرق ذلك أموالهم«. والخلاصة: أن في المال حقوقاً واجبة غير أداء الزكاة فإن إخراج الزكاة لا ينفي عن المال صفة الكنز ، إذا مـنعـت بقية الحقوق الواجبة فيه فيما يعود بالنفع على المسلمين من بناء الاستثمارات ، وإقراض المحتاج وإطعام الجائع ، وغير ذلك من ضروب التكافل بين المسلمين ، والتي تعبر عــن طبيعة النظام الإسلامي ، وتبني مجتمع المتقين المتكافل. (ص 94،95،97)
وتقع مهمة توجيه العفو ، إلى الإسهام في تحقيق التنمية الاقتصادية ، على عاتق الكثير من المؤسسات القائمة في المجتمع ابتداءً من مؤسسة الدولة نفسها بوصفها أهم مؤسسة في المجتـمـع ، وانتهاءاً بالجمعية الخيرية التي يكونها الأفراد لأداء واجب من الواجبات الكفائية ، مــروراً بالـكـثـيـر من المؤسسات التي يضمها المجتمع ، والدولة بوصفها أهم المؤسسات المؤثرة على »العفو »من ناحية فعاليته في تحقيق مصالح المجتمع ، تستطيع القيام بعدة أمور:
1- أول ما يجب على الدولة في هذا الخصوص هو أن تتخذ من الوسائل والسياسات ما يجعل الفوائض المهاجرة تطمئن إلى توطنها في بلادها وتعود من مهجرها ، وهذا يتطلب تأميناً على نفسها ، وفتحاً لـفـــرص الاستثمار والتنافس الحر أمامها ، وسعياً إلى إيقاظ الوعي الديني في نفوس أصحاب هذه الفوائض.
2- أن تضع الدولة إطاراً لتنظيم عملية استخدام العفو ، يكفل انسياب الفوائض إلى قنوات الاستثمار المختلفة ، ومجالات الخدمة الاجتماعية

المتعددة دون عقبات أو عراقيل ، وبما يحفظ هذه الفوائض من أن تبدد في مشروعات مظهرية غير مجدية ، أو في استثمارات لم يصل المجتمع إلى طلبها في هذه المرحلة. (ص 104،105)
وبعد ذلك تظهر قضية كفاءة الـمـصارف الإسلامية ، وإذا استطاعت هذه المصارف أن تقوم بدورها المنوط بها ، وأن تعمل دائماً على رفع كفاءتها وتطوير أساليبها فإن نجاحها مرتهن بمساندة المجتمع والدولة ، فالمطلوب إذاً نشر المصارف الإسلامية في أرجاء البلاد ، وإزالة المعوقات من أمامها ، وإحاطتها بالتشريعات الكفيلة باستقرارها ونموها.
ويتحقق إنفاق العفو بأكثر من صــورة، وقـصـره على صورة دون أخرى تقييد للمطلق بغير دليل ، فكلما طابت نفس المسلم ، وتفاعلت مــع الهدي الذي أتاه من ربـه ، تمكنت من اقتحام العقبة ، واختارت صورة من صور إنفاق العفو في سبيل الله ، تكون أبلغ في الدلالة على الاستجابة لأمر الله ، وأول هذه الصور وأعــلاها تتمثل في تقديم العفو والتخلي عن ملكيته لصالح المستفيد منه. (وهناك صورة الوقف: وهــي خروج عن مـلكية العفـو وجعله ملكاً لله تعالى فلا يملكه من وقف عليه لكنه يستفيد منه فقط).
ومن الصور أيضاً ، استخدام العفو في خدمة مصالح المسلمين مع الاحتفاظ بملكيته ، مثل بناء المشروعات الاستثمارية التي تحقق منفعة للمالك ومصلحة للمجتمع في الوقت نفسه ، وتتدرج بعد ذلك صور إنفاق »العفو »فهناك صور كثيرة استخدمها المسلمون ثم تغافلوا عنها ، وهي من هدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- تنضوي تحـت مــا يسمـى بـ »المنيحة«. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تغدو بعس وتروح بعس ، إن أجرها لعظيم«، فالمنيحة هي الدابة يدفعها المسـتغني عنها إلى من يسـتفيد من قوتها ودرها، ثم يسـتعـيـدهـا بعد مدة مقدرة ومثل ذلك أن يبني المسلم دوراً يملكها، لـكـنـه يخصصها لسكنى الفـقـراء وأبناء السبيل وينتفع بها إذا احتاج إليها ، وجدير بالذكر أن عدم إنفاق فائض المال فـي صورة من هذه الصور أو مثيلاتها يعني تعطيل المال والجهد وإضاعتهما ، وذلك أمر منهي عنه شرعاً. (ص 54،55)
ويشير حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: »لا قدست أمة ، لا يأخذ فيها الضعيف حقه غير متعتع« (7) ، إلى هذه العلاقة الوثيقة بين حفظ كرامة الإنسان ، واستحقاق الأمة نصر الله وعونه ، فــإن حــق الضعيف في هذا الحديث ليس حقاً معيناً ، وإنما هو حق شامل عام: إنه حق في الـحـيــاة الكريمـة ، وفي العدالة والمساواة والحصول على عمل دون أن يتقدمه من هو دونه ، وحقه في التنقل والملكية وممارسة حقوقه السياسية ، وحقه في إبداء الرأي ، وتوجيه أمور الجــماعــــة... إلى غير ذلك من الحقوق التي جاءت بها الشريعة وكفلها الإسلام. (ص 12،13)

الهوامش :

*المصدر: د. يوسف إبراهيم يوسف إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق ط 1 1414 هـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية دولة قطر بتصرف يسير.
(1)البقرة ، آية 219
(2)رواه مسلم.
(3)متفق عليه.
(4)متفق عليه.
(5)رواه مسلم.
(6)رواه مسلم.
(7)رواه »ابن ماجه« بسند صحيح.اج

في دائرة الضوء

رؤيـة في مسألة »التعددية«
عـرض ونـقـد

د. محـمـد يـحـيـى

حفلت الكتابات الفكرية في الآونة الأخيرة بطروحات كثيرة حول قضية »التعددية« وتفريعاتها في النواحي الفكرية والاجتماعية والسياسية ، بل وحتى الدينية ، وبدا لمن يتابعون هذه الكتابات أن أنصار مبدأ »التعددية« يرون فيه الحل الناجع للكثير من مشكلات الأمة وفق توصيفهم لها ، وأنهم يطرحونه مذهباً فلسفياً قائماً ، يدعون له ، وينافحون عنه في وجه خصوم معينين ، وارتبطت فكرة »التعددية« بمنظومة أخرى من الأفكار التي تروج هي الأخرى في الكتابات الفكرية المعاصرة،كفكرة »الاعتراف بالآخر«، و »الديموقراطية« وما أشبه ذلك ، كما اكتسبت مثل تلك الأفكار قداسة خاصة ، وارتقت إلى مرتبة الشعار العاطفي المطلق ، الذي يرفع لاستجلاب المشاعر وإثارة الخواطر، ويطلق علامة على حركة اجتماعية وفكرية عامة.

هدف هذه الفكرة:

وشُهرَت دعوة »التعددية« بخاصة في وجه الحركات والأفكار الإسلامية التي وصفت بأنها عدو التعددية ، كما هي عدو الفكر والتقدم والتنوير والعقل والحرية...الخ ، وعلى الرغم من اجتهاد بعض المفكرين الإسلاميين في إيجاد وضع ثابت للتعددية داخل الشريعة الإسلامية كالقول الشائع مثلاً بأن المذاهب الفقهية هي أحزاب سياسية واجتماعية متعددة إلا أن وصمة رفض التعددية بقيت تلاحق الإسلاميين في الكتابات الجارية وتدمغهم في عرف الكاتبين بكل النواقص الناجمة عن ذلك.

ملحوظات أربع مهمة:

ولا يكاد المتابع للكتابات الدائرة حول التعددية أن يهرب من ملحوظات عديدة حول هذه الفكرة كما جاءت في الطروحات الدارجة ، وهي ملحوظات ينبغي وضعها في الحسبان عند أي تعامل أو تحليل للفكرة.

أولاً: أبرز هذه الملحوظات ما يتعلق بالمصدر الذي تؤخذ منه عادة هذه الكتابات والدعوات في الفترة الراهنة ، وأعني به قطاعات من الفئة المثقفة ذات التوجه العلـمـاني ، وبالذات العناصر المسماة بالليبرالية واليسارية منها ، ولا يخفى أن الفئات الأخيرة على تنوعها من ماركسية وشيوعية واشتراكية وقومية كانت حتى وقت قريب أشد الرافضين لمبدأ التعددية ولاسـيمـا في مجال الحزبية السياسية ذلك لأن أصحاب هذه المذاهب كانوا إلـى سـنـوات أخيرة يزايدون على أصحابهم في الغرب في التشديد على »أحادية« مذاهبهم ورؤاهم الفكرية وقدرتها وحدها على تفسير وتحليل كل الظواهر ، وتدبير كل أمور المجتمع دون شريك ، وليس ببعيد عـنـا زعم الماركسيين أن فلسفتهم هي الحق الوحيد القادر على شرح وتوضيح كل أمور الكون ، وعـلـى تـفـسـيـر شـتـى الظواهر الاجتماعية سواء أكان التفسيرفي مجال الحركة الاجتماعية والسياسية أو في مجال الفكر والرأي والنظر الفلسفي ، فما بال المزاعم قد تغيرت إلى النقيض في زمن قصير لا يسمح بتحول فكري، بل وبدون دلائل على حدوث مثل هذا التحول إلى الانفتاح الفكري؟!

ثانياً: تـؤدي هذه الملحوظة إلى أخـرى تفوقها في الأهمية والمغزى فالواقع المشهود والتجربة التاريخية خلال نصف قرن مضى ، تدل على أن من يستميتون الآن في طرح مبدأ »التعددية« كانوا أول وأشد من يناقضه في القول وفي الفعل فهم الذين قـمـعـوا وكـبـتـوا بـل سـحـقـوا الحركات الإسلامية ، وأمروا أو حرضوا على قتل المفكرين والعلماء المسلمين العزل من أي شيء سوى أفكارهم، وهم الذين تحالفوا مع كل أصحاب الدعوات والممارسات الاستبدادية في الحكم ، وناصروا كل من حل الأحزاب ، وسيطر احتكاراً على مذاهب ومنابر الإعلام والثقافة وسد منافذ الـحـركـة الاجتماعـيـة الأصيلة وفي الوقت الراهن يتحالف هؤلاء مع أنظمة حكم عسكرية دكتاتورية تحظر الـتـعـدديـة الـسـيـاسية ، وتمنع التعددية الفكرية والأخطر من ذلك أن ممارسة هؤلاء لمفهوم »التعددية« في الحاضر تتمحور حول رفض وجود التيار الإسلامي الفكري والحركي في السـاحة السـيـاسـية والاجتماعية والثقافية والإعلامية بحجة واهية مصطنعة هي أن هذا التيار يرفض التعددية وبذلـك جــاز أو وجــب إبعاده عنها(1) رغم أن من بين صفوف »التعدديين« الجدد من أفنى عمره يرفض التعددية الحزبية والفكرية ، ثم ها هو أصبح من دعاتها ، وتلك تعددية غريبة تلك التي تجعل مـن أهـم مبادئها إقصاء أقوى الأطراف على الساحة ، وقصر المنتفعين بها على أصحاب مذاهب هي في حقيقتها مذهب واحد: هو العلمانية المتطرفة.

ثالثاً: إن »التعددية« المكتشفة أخيراً حـلاً سـحرياً للمشكلات والأزمات ، لا تطرح باعتبارها فـكــرة أو مـسـلـك اجتماعي أو أسلوب حركي أو دعوة أخلاقية ، بقدر ما تطرح سلاحاً مشهوراً في وجه خصوم التيار العلماني من المسلمين ، فنحن لسنا أمام طرح فكري يطلب لنفسه كسائر الطـروحــات الفكرية المناقشة الهادئـة الجادة والعقلانية ، بقدر ما نواجه بشعار يُرَدَدُ لإرهاب الخـصــوم ودمغهم بالتسـلـطـية ، ورفض الحوار وتشويه صورتهم في أذهان الناس على أنهم هم ولـيـس الـعـلـمـانيون الذين يبشرون بالبطش والطغيان برفضهم للتعددية ، وبالمثل فإن هذا السلاح والشعار يستخدم لتبييض صورة العلمانيين وتحسـينها بنفي أبرز ملامحها وهـو الاسـتبداد بالرأي والتـعـصـب الـمقيت ضد المخالفين ، والرغبة العارمة في الاستئثار والاحتكار لكل مناحي الحياة وأدوات الفـعل والحركة في المجتمع. نحن إذن في طرح »التعددية« في الكتابات العلمانية الجارية نواجَه بأسـلــوب خـبـرنـاه في طروحات منظومة الأفكار الأخرى المماثلة ألا وهو استخدام الفكرة سلاحاً كالسيف والمدفع للهجوم على الخصوم وتشويه صورتهم مع تحسين صورة الأنصار.

رابعاً: ترتبط الملحوظة الأخيرة بما سبق ، فلأن مفهوم »التعددية« يستخدم الآن مجرد سلاح للضرب ، ولأنه يناقض أفكار وممارسات من يتزعمون لواء الدعوة إليه ، فهو يبدو غامض الـمـلـمـح ومضطرب الأبعاد فالحديث قد يجري عن التعددية السياسية فنسمع دعوة إلى السماح بتعدد الأحزاب ، لـكـن هــذه الدعوة مقيدة بأن تعمل هذه الأحزاب داخل نطاق محدد ومحـدود لا تـتـجـاوزه ، هو في العادة »ميثاق وطني« أو قانون صارم يضفي عليها في الواقع وحدة أو »أحادية« في الفكر والسلوك ، فوق أن هذه »الأحزاب المتعددة« تستثنى منها فئات عديدة أولها ما يسمى بالأحــزاب الديـنـيـة أو الإسلامية مما يجعل من التعددية المرغوبة مجرد لفظ أجوف ، والحديث قد يدور حــول التعددية الفكرية والثقافية لكنه ينحصر في الواقع في نبذ ونفي الإسلام والتمكين لأحـاديــة فـعلـيـة من المذهب العلماني المتغرب ، حتى وإن تسترت ببعض التفريعات الشكلية داخل هذا المذهب ، والأكثر أهمية في هذا أن المناقشات حول التعددية تتركنا في حيرة حول ما إذا كـان الـكـلام يدور حول واقع موجود بالفعل يراد الاعتراف به ، وتقنين وجوده ، أم حول مثال وأنـمـوذج يراد إيـجـاده مـن عــدم ، باعتباره هدفاً أسمى ينبغي الوصول إليه ، ذلك لأن الحديث عن التعددية يجري أحـيـانــاً بشكل يوحي بأن أنصاره إنما يريدون تمهيد السبيل لتطورات ومذاهب وأفكار يراد جلبها إلى الساحة بعد التمهيد لها بفكرة التعددية ، ولعلنا نذكر في هذا السبيل كيف خلقت بعض الأحزاب السياسية خلقاً مصطنعاً في بعض البلدان العربية عندما راجت »موضة« الـتـعـدد الـحـزبـي بتقـلـيد أسماء وتوجهات أحزاب قائمة في البلاد الأوروبية ، كأحزاب الخضر والاتحادية الديموقراطية وغيرها.

كيف نتعامل مع هذه الفكرة؟

هذه الملحوظات الأولية حول طروحات فكرة التعددية في الكتابات العربية المعاصرة ولاسيما العلمانية توجه النظر إلى ضرورة فحص مصدر وأهداف الطرح قبل التعامل معه فكرياً على أنه فكرة بريئة يرد عليها الإسلاميون بأي شكل كان ، فنحن كما أسلفت أمام فكرة ظاهرها الانفتاح والتحرر لكنها تصدر عن منابر ارتبطت أشد الارتباط بكل معاني الدكتاتورية والأحادية والهيمنة الاحتكارية ونفي الآخر ، والفكرة تطرح بشكل مناقض لجوهرها حيث تنطوي دائماً على استبعاد الإسلام وحركاته من هذه التعددية الانفتاحية الموعودة بحجة جاهزة هي: أن الإسلام لا يؤمن بالتعددية وبالتالي فلا مكان له فيها وكأن الآخرين الذين أعطوا مكاناً فيها كانوا يؤمنون بها ، وأخيراً تطرح الفكرة لا باعتبار هذا الطرح مبدءاً قابلاً للنقاش العقلي والفلسفي والتوضيح ، بل مجرد سلاح لتشويه الإسلاميين وتحسين صورة العلمانيين ، وهو ما ينعكس في غموض أبعاده ، وفي هذه الحالة ينبغي أن نقف إزاء أهداف تَبَنّي العلمانيين لهذه الفكرة ضمن منظومة ادعاءاتهم الراهنة ، إذ تكون في هذا فائدة تفوق مجرد التعامل السطحي معها رفضاً أو قبولاً .

يرتبط الحديث كثيراً عن «التعددية» في هذه الفترة ارتباطاً سببياً مباشراً بصعود الفكر والطروحات الإسلامية إلى حد أدهش العلمانيين في العقدين الأخيرين في مقابل إفلاس مذاهبهم وطروحاتهم المختلفة ، لقد حدث انقلاب مدهش في ساحة الفكر والثقافة في المجتمعات العربية حيث أن السيطرة شبه المطلقة التي كانت للعلمانيين (بفضل الالتصاق بالأنظمة الحاكمة) في الخمسينيات وبالذات في الستينيات ، قد تضعضعت ، ثم انهارت في السبعينيات والثمانينيات ، ومع سقوط الطروحات العلمانية أصبحت النخبة العلمانية عارية أمام الجماهير دون تمويه يخفي حقيقة عمالتها وتبعيتها لأنظمة هي بدورها عميلة وتابعة للدول الاستعمارية القديمة ، بجانب خيانتها الكبرى لدينها وعروبتها وشعوبها بأساليب الحكم الاستبدادي ، وبدا واضحاً أن الساحة التي شهدت سيطرة العلمانيين الاحتكارية مهيأة الآن لاكتساح إسلامي شامل لن تتبقى معه آثار تذكر لمذاهب وأفكار العلمانية المتغربة ، في هذه الظروف نشأ فجأة الحديث عن «التعددية» في ذات الأوساط التي كانت قد كرست كل جهودها بدعم من السلطات وأجهزة الأمن والبطش ، لكي تقضي على كل آثار الإسلام وأفكاره قبل ذلك بسنوات. ظهرت فكرة «التعددية» بوضوح لكي تكون مجرد الغطاء والمبرر الذي يسمح بوجود واستمرارية بقايا الأفكار العلمانية المتغربة في وقت بدا للعلمانيين أن التيار الإسلامي الجارف سيجتاحها كلها. نحن إذن نواجه بفكرة وليدة الخوف الطاغي لدى من مارسوا القمع والاستبداد والنفي والاحتكار في أن يستبعدوا وينفوا مع فارق بالطبع هو أنهم مارسوا هذه الأشياء في موقع الأقلية التابعة

للخارج والموالية لأنظمة غير شعبية ، بينما الإسلام هو دين وثقافة وحضارة البلاد وعقيدة أغلبية سكانها الساحقة.

التعددية من منظور علماني:

»التعددية« في جوهر طرحها الراهن من جانب العلمانيين لا تعبر عن توجه ديموقراطي مفاجىء ، ولكنها مجرد مناورة فكرية للإلحاح على ضرورة وجود أفكار مغايرة للإسلام في الساحة التي يظنون أن الإسلام بقوة الجماهير سيكتسحها كلها ، ولو أتيحت لهم فرص رد التيار الإسلامي لأسقطوا دعوى »التعددية« تماماً ، وهم بالفعل قد ضمنوا دعاواهم ما يسمح بذلك ، فوسط الحديث عن التعددية في كل مظاهر الحياة نجدهم قد وضعوا الشروط والقيود التي تؤدي حتماً إلى استبعاد الإسلام منها في نهاية المطاف ، أو إعطائه وضع التابع الضعيف داخل إطارها ووسط سائر المذاهب العلمانية.
القضية إذن ، كما هو الحال مع الطروحات الأخرى حول »الاعتراف بالآخر« وما شابهه ، لا تعدو أن تكون »تكتيكاً« دعائياً فكرياً بطرح شعار يضمن البقاء للنفس في حالة صعود »الآخر« (الإسلامي) المكتسح مع إمكانية إسقاط هذا الشعار وتفريغه من مضمونه في حالة تراجع هذا »الآخر«. بهذا وحده نستطيع أن نفسر التناقضات الكامنة في الدعوى واللبس والغموض الذي يكتنف أبعادها كما أشرنا في الملحوظات السالفة ، فهي ليست مبدءاً فكرياً متسقاً بل مجرد شعار يستخدم سلاحاً وفي الحقيقة يستخدم باعتباره مناورة شأنه شأن سائر الطروحات العلمانية في هذه الفترة تنفيذاً للدور الذي يؤديه العلمانيون في هذه الفترة في مواجهة الإسلام وحركاته ، وخلاصة المناورة أنه عندما يكون المد العلماني في صعود نسمع حديث الاحتكار والأحادية والنفي والاستبعاد ، وعندما ينهار المد ويتراجع نسمع حديث التعددية والاعتراف بالآخر لضمان موطىء قدم وبقية من وجود لدعاواه دون أن يجتاحها المد الإسلامي المضاد ، ولأنهم يعاملون »التعددية« هذه المعاملة سلاحاً وشعاراً ومناورة ، فلا يبالون بالتناقضات ، بل لا يهتمون بالتوضيح والمناقشة العقلية المتأنية ، وهذه خلفية طرح فكرة »التعددية«.

***

أنحن مع التعددية أم ضدها ، وكيف؟

يصل طرح »التعددية« إلى الفكر الإسلامي عادة في شكلين لا ثالث لهما:
الأول هو اتهام مطلوب الرد عليه بأن الإسلام أو الإسلاميين ومعهم في ذلك تاريخ الإسلام لم يعرف التعددية بل كان ضدها على طول الخط ، والثاني هو تحد للإسلام وللإسلاميين وللفكر الإسلامي بأن يخرجوا بطروحات نظرية وممارسات عملية تثبت أن للتعددية مكانة راسخة عندهم.
طرح »التعددية« إذن يوجه للفكر الإسلامي في شكل اتهام أولا ، ثم في شكل تحد ثانياً ، أي يوضع الإسلام في موضع دفاعي مما يفرض عليه آليات الدفاع التقليدية وأبرزها محاولة نفي التهمة بأي شكل وإثبات العكس ألا وهو

أن الإسلام لا يحتوي على شيء قدر احتوائه على »التعددية« ذلك المبدأ السحري المرغوب فيه! وبالفعل دارت في هذا الإطار مرغمة معظم المعالجات الإسلامية للفكرة بدءاً من تطويع مفهوم »الشورى« لفكرة »التعددية« وانتهاءاً كما ذكرنا بالحديث عن المذاهب الفقهية كأحزاب سياسية ، وبدا لمن يتابع هذه الكتابات (الدفاعية والاعتذارية في جوهرها) أن الإسلام ما جاء أو أوحي إلا ليضمن أو يوجد التعددية في كل أشكالها حتى لو كانت هناك مجالات لا توجد فيها ، ويتناسق هذا مع ما عهد في أمثال هذه الكتابات الدفاعية المضطرة إلى نفي التهمة وإثبات العكس ولو بالمبالغة فكذلك رأينا من يذهب إلى أن من خصائص الإسلام الاعتراف بالآخر (ونسيان نفسه على ما يبدو!) أو التمكين لمخالفيه في الوجود...الخ.
وبصرف النظر عن الكتابات الإسلامية في موضوع التعددية ، التي لم تجد مفراً من أن تكون دفاعية اعتذارية بحكم طريقة طرح الفكرة من الجانب الآخر فإن هذه الكتابات تظل تتحدث عن تعددية داخل الإطار الإسلامي مهما كان ذلك الإطار واسعاً ، أو حتى فضفاضاً كما بدا عند بعضهم ، وهذا الوضع للتعددية الفكرية والسياسية والثقافية داخل الإطار الإسلامي لا يعجب من يطرحون الفكرة مهما بدا متسامحاً لأنهم يقصدون في الحقيقة تعددية جذرية أي خارج الإطار الإسلامي ، أو هم يرمون في الحقيقة إلى ثنائية (لا تعددية) تضع الإسلام في ناحية والعلمانية (بمذاهبها الثانوية) المتغربة في الناحية الأخرى. ولهذا فالردود أو المعالجات الإسلامية لموضوع التعددية لا تلقى القبول عند العلمانيين لأنها لا تصل مهما تساهلت ، أو مهما نفت التهمة وقبلت التعددية إلى المفهوم المرجو من طرح الفكرة ، وهو القبول الصريح والاعتراف »بغير الإسلامي« و »بالمعادي للإسلام« طرفاً مساوياً وشريكاً قوياً مؤثراً في ثنائية تنظيم سائر المجتمعات الإسلامية ، بل والقبول بأن تكون لهذا الطرف حجية الحكم والتوجيه والسيطرة ، ولعل في هذا الهدف الأخير ما يفسر الإلحاح العلماني في الآونة الأخيرة على فكرة تتواكب مع »التعددية« وهي »تداول السلطة« حيث يدور التركيز على ضرورة أن يقدم الإسلاميون التعهدات القاطعة والمضمونة بأنهم لن يصلوا إلى الحكم ، أو بالأدق إلى مواقع القرار والتوجيه في المجتمعات إلا من خلال انتخابات شعبية (وهذا ما لم يفعله العلمانيون أبداً بل جاءوا عن طريق الانقلاب والدعم الخارجي) ، وأنهم لن يحتكروا السلطة أبداً بل سيتبادلونها مع الاتجاهات الأخرى (وهذا أيضاً ما لم يفعله العلمانيون مطلقاً مع الإسلاميين) ، وهذا الحديث عن تداول أو بالأصح تبادل السلطة بين طرفي الثنائية يوحي بأن الإسلام دين الأغلبية سيوضع على قدم المساواة (إن لم يكن أدنى بكثير) مع فئات نخبة الأقلية الضئيلة التي لا تعيش إلا بحبل من الأنظمة وحبل من القوى الخارجية.

المقولات الإسلامية إذن حول القبول بالتعددية إما داخل الإطار الإسلامي أو خارج هذا الإطار في مجتمعات ودول وعقائد أخرى ، لن تحظى بالإعجاب من جانب دعاة »التعددية« ، وهم كذلك لن يستسيغوا القبول الإسلامي بأديان ومذاهب مخالفة داخل إطار المجتمعات والدول الإسلامية مادام الإسلام مهيمناً عليها ، لأنهم كما أسلفنا يريدون تعددية أو ثنائية جذرية يكون فيها لمذاهب العلمانية المتغربة وجوداً مؤسساً ومهيمناً ، أو على الأقل تبادلياً مع الإسلام في البلاد الإسلامية ، ولا يكون متضمناً داخل الإطار الفكري ولا نقول العقدي الإسلامي. القبول الإسلامي بالتعددية مهما كان متسامحاً وواسع المدى لن يصادف هوى أصحاب الدعوة الراهنة العالي صوتها لأنه لا يوافق جوهر وهدف طرحهم ، ألا وهو الأحادية العلمانية المتسربلة زيفاً في ثياب طلب التعددية ، والحق أن الموقف العلماني الحقيقي من موضوع التعددية يطابق الموقف الإسلامي الذي يهاجمونه وإنْ من الناحية المضادة فهم إن سمحوا بالتعددية وهو ما يشك فيه كثيراً فإن ذلك يكون بين مذاهب فرعية داخل المذهب الأم أنواع مختلفة من الليبرالية داخل الإطار الليبرالي الأعم ، أو أنماط من الفكر الماركسي داخل المذهب الشيوعي المادي الأوسع.. الخ ، أو يكون على أبعد تقدير بين عدة مذاهب وتوجهات تشترك كلها في الأساس العلماني المتغرب ، وتجد فيه قاسمها المشترك الأكبر ، ومبررها الفلسفي وعلى هذا فإذا كان الموقف الإسلامي يرى أن تعدد الأفكار والتوجهات يجوز داخل إطار أعم وأقوى ، فهو لا يقدم شيئاً شاذ اً كما يصور العلمانيون بل هو نفس موقفهم ، تعدديتهم إذن في أحسن حالاتها وأكثرها تحرراً لا تختلف عن التعددية التي ينادي بها بعض الإسلاميين في المقابل ، فلماذا إذن يستمر الهجوم الحاد على الإسلام بدعوى رفض التعددية وتشعب الأفكار والرؤى؟ وهذا المفهوم للتعددية عندهم يقتصر فقط على داخل الصف العلماني ، أما خارجه ، فهناك أحادية صارمة تنفي الضد الإسلامي وتعاديه.

التعددية وتقلب المعنى:

الصورة الحقيقية التي ينبغي على الفكر المسلم أن يعيها هو أننا إزاء طرح متقلب متعدد المستويات في هذا الموضوع ، فنحن أمام دعاية ملحة حول »التعددية« لكننا إذا تفحصناها وجدناها »تعددية« مقيدة ومشروطة ومحدودة داخل تفريعات مذهب أو إطار واحد مسيطر العلمانية الوافدة ثم نجدها في هدف الطرح »ثنائية« جذرية عندما نتبين معناها في المجتمع المسلم ، ولكننا في الممارسة الواقعية العملية نجدها »أحادية« صارمة وشرسة في نفيها واستبعادها »للآخر« الإسلامي ، ورفضها لكل طروحاته وإصرارها على إخضاع الإسلام (بآليات التطوير والتطويع والعلمنة والتغريب) داخل النمط اللاديني والنسق التغريبي. »التعددية« هي ورقة الدعاية »والثنائية« هي الهدف المنشود لإثبات وحفظ الوجود داخل المجتمعات الإسلامية في ظل صعود التيار الإسلامي ، أما »الأحادية« فهي الواقع والممارسة والهدف النهائي ،

ولكن الفكر الإسلامي يتعامل حتى الآن مع الشعار فقط ، وعلى مستواه السطحي دون الاختراق إلى الأهداف والغايات وواقع الممارسة والفعل وخلفية التاريخ والأصول الفكرية النظرية ، ولذلك فإن الطرح الإسلامي المضاد الداعي للقبول بالتعددية لا يجد القبول عند أصحاب الدعوى التعددية رغم أنه كان ينبغي أن يرضيهم لو كانت النوايا صحيحة وسليمة ، ذلك لأنهم لا يقنعون برد يجابههم على مستوى الشعار ، لأن الشعار عندهم هو مجرد القناع الظاهري الذي يخفي حقيقة »الثنائية« و »الأحادية« ، ومهما حاول الإسلاميون مواجهة الشعار برفض التهمة وقبول التحدي ، فلن يرضى العلمانيون لسبب بسيط هو أن قبول المسلمين بالتعددية أياً كانت أبعاده يناقض استمرار توجيه التهمة ضدهم لأسباب دعائية ويحرم العلمانيين من عريضة اتهام رابحة وورقة تشويه جيدة ، كما أن هذا القبول الإسلامي لا يتمشى ، ولا يعني حقيقة »الثنائية« و »الأحادية« الكامنة وراء شعار »التعددية« كما أراده رافعوه.
ولست بذلك أدعو للكف عن الطرح الإسلامي والتعاطي في مسألة »التعددية« في شكل نفي التهمة وإثبات الموقف الصحيح ، حتى لو اقتصر ذلك في الوقت الراهن على التعامل على مستوى الشعور ، وحتى لو اقترن ببعض التعسف في التخريج والتنظير ، فهذا الأمر مطلوب إبراء للذمة وتوضيحاً لمواقف الإسلام في وجه الشبهات المثارة والتي قد تنطلي على من لا يعلمون. ولكن هذا الطرح ينبغي كذلك أن يتجاوز مستوى طرح »التعددية« باعتبارها شعاراً ، ليتعامل مع مستويات الدعوى المختلفة التي ألمحنا إليها فيما سبق وفوق ذلك ينبغي على هذا الطرح الإسلامي للقضية أ ن يتجاوز مستوى الردود الدفاعية ليناقش المشكلة برمتها مناقشة واعية متأنية متدبرة ، وهو ما لا نجده عند طروحات العلمانيين التي تتسم كما قلنا في بداية المقال بالانفعالية والتشنج.

أسئلة تحتاج إلى أجـوبة:

إن هناك أسئلة تحيط بفكرة »التعددية« لا تجد إجابة في الطرح العلماني لكنها تبقى ملحة على ضوء الطروحات لتحقيق خير أكبر وأعم ، شأنها في ذلك شأن »الديموقراطية«؟ أي هل »التعددية« هي هدف نهائي يتحتم على المجتمع أن يصل إليه ، أم أنها أسلوب قد يطبق في مواقف معينة للتعرف على أفضل الآراء والاتجاهات ، ولتحقيق أنجع أداء في مجال معين؟ وهل نقف عند التعددية في المواقف والاتجاهات والآراء كأمر حتمى ، أم أننا نسعى إلى تجاوز ذلك صوب رأي محدد واحـد لاسـيما إذا أدى هـذا التعـدد والتشعب إلى التشتت والتمزق بل والصراع؟ وعلى أي مستوى يكون طلب التعددية وتكريسها وفي أي مجال؟ هل هي في مجالات الاقتصاد والإنتاج والعلوم أم في مجالات القيم والأخلاق والعقائد؟ ولماذا تضفى على »التعددية« في حد ذاتها قيمة مطلقة بحيث تصبح خيراً محضاً في جوهرها وفي مجرد وجودها ، بينما يصبح توحد الرأي (حتى ولو كان أمراً طبيعياً نابعاً من الموقف دون

قسر) أمراً مستقبحاً في ذاته ومرتبطاً بالدكتاتورية أو الفقر الفكري؟ وهل يصبح هذا التصور في كل المواقف أي هل ينطبق في المواقف الاقتصادية الإنتاجية مثلاً كما ينطبق على المواقف العقائدية؟ ثم هناك السؤال الأهم: هل طرحت »التعددية« باعتبارها قضية لمجرد التقليد لأن الغرب قد طرحها في السنوات الأخيرة داخل مجتمعاته لظروف وأسباب مختلفة؟

منطلقات التعددية العالمية:

إن طرح مسألة »التعددية« جرى في بعض بلاد أوروبا الشرقية وما يسمى بالعالم الثالث مؤخراً على المستوى السياسي البحت ، طلباً لتعدد الأحزاب السياسية في مجتمعات ظلت عقوداً طويلة لا تعرف سوى نظام الحزب الواحد. ولكن في بلد غربي رائد ومؤثر كأمريكا طرحت المسألة في سياق اجتماعي ثقافي سلوكي مع ارتفاع صوت فئات متعددة عرقية (الزنوج وذوي الأصل الأمريكي الجنوبي والآسيوي) ولغوية (أسبانية) وسلوكية (جماعات ما يسمى بتحرر المرأة وحقوق الشواذ وأنصار البيئة و »الأصولية المسيحية«) ، لتطالب بوجود متوسع ، ونفوذ قوي لها داخل المجتمع الواحد ، وهنا اتخذت قضية التعددية أبعادها المحددة التي وصلت إلى حد التبشير بالتعددية في أنماط الزي والطعام والسلوك الشخصي، لكنها لم تصل إلى إسقاط الإطار الموحد العام الذي يربط أشتات المجتمع الأمريكي ، فهذه التعددية مثلاً لم تتسع أو تشمل دعاة إقامة مجتمع ديني »أصولي« ، ولا دعاة إقامة نظام نازي مما يسمى باليمين الجديد المتطرف.
والحديث عن »التعددية« في بعض بلدان أوروبا الغربية كفرنسا وألمانيا وإلى حد أقل إنجلترا ، بدأ فقط تحت ضغط وجود تجمعات كبيرة ومتزايدة من المهاجرين الأجانب ، مما فتح احتمال الثنائيات بل والتعدديات اللغوية والعرقية والدينية (وأبرزها الإسلام) داخل البلد الواحد ، لكن مفهوم التعددية في هذه البلدان جرى تحجيمه في الحال ، بحيث أصبح على أحسن الأحوال لا يتجاوز مجرد السماح لبعض هذه الفئات بحقوق محدودة ، للتعبير وببعض الخدمات الاجتماعية مع كف أذى أصحاب البلاد عنها.

الخلاصة:

من الواضح أن أنماط طروح التعددية هذه تخالف تماماً النمط الذي طرحه العلمانيون في البلاد العربية ، والمخالفة في الشكل واضحة ، لكنها أوضح ما تكون في الغرض والهدف من الدعوة كما ظهر مما سبق ، ويجب على الفكر الإسلامي أن يضع هذه الفروق الجوهرية في الاعتبار عند تصديه لمناقشة هذه الفكرة ، لكن »التعددية« في طرحها المحلي تبقى كما أسلفنا »تكتيكاً« فكرياً دعائياً يحقق أهدافاً متعددة أبرزها كسب المشروعية للفكر العلماني الوافد والاحتفاظ له بمكانة مقننة داخل المجتمعات الإسلامية في وجه صعود الالتزام بالإسلام ، ثم الهجوم الدعائي على الفكر الإسلامي

وتـشـويـه صــورتـه وإشغاله بالدفاع الاعتذاري عن النفس ، مع تحسين صورة النخبة العلمانية الساقطة وإضفاء طابع الحرية والانفتاح عليها ، وهو أبعد ما يكون عن حقيقتها.

إصـدارات

من مكتبة »البيـان«

*اليهودية والماسونية: لمؤلفه الشيخ العلامة/ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله،يقع الكتاب في (184) صفحة ، وضح فيه مؤلفه دعاوى اليهود بأحقيتهم التاريخية في أرض فلسطين ، كما كشف عن جوانب من مكر اليهود على النصرانية وعلى الإسلام ، وسـعـيهـم الحثيث للتحكم في شؤون العالم وخيراته عن طريق إنشاء الحركات والمنظمات المشبوهة كـالمـاسونية ، كما فضح في جزء من الكتاب بعض الشخصيات والدعوات التي صنعها اليهود وربـوها ، وختم كتابه بالحديث عن الأسلحة التي انتصروا بها ، والأمور التي يجب أن ننطلق منها لمواجهة دويلتهم في المنطقة »إسرائيل« ، والكتاب من نشر دار السنة للنشر والتوزيع بالخبر.
*الخـشـوع فـي الـصــلاة: لمؤلفه/ محمد عزالدين توفيق ، يقع الكتاب في 102 صفحة من القطع المتوسط ، يـتـحـدث فـيـه مـؤلـفــه عن الأسباب الداعية للخشوع في الصلاة والطرق الموصلة إليه ، والكتاب يحمل الرقم (3) مـن سـلـسـلـة المعالم الصادرة عن دار النشر الدولي بالرياض.
*بدائع التفسير: الجامع لتفسير الإمام ابن قيّم الجوزية، جـمـع وتخريج/ يُسري السيد محمد ، يقع الكتاب في خمسة مجلدات ، وقام فيه جامعه بـتـتـبـع كــلام ابن القيم في التفسير من خلال كتبه المختلفة وترتيبها حسب ترتيب سور وآيات المصحف الشريف ، والكتاب من نشر دار ابن القيم بالدمام.
*ظاهرة النفاق خبائث المنافقين في التاريخ : لمؤلفه/ عبدالرحمن حسن حـبـنـكـه الميداني ، يقع الكتاب في مجلدين ، وقد تحدث فيه مؤلفه عن تعريف النفاق والمنافـقـيـن ، وقـــام بدراسة شاملة للنصوص القرآنية في النفاق والمنافقين ، كما قام بنظرة استعراضية للمنافقين عبر التاريخ ، والكتاب يحمل الرقم (7) من سلسلة أعداء الإسلام ، وهو من نشر دار القلم بدمشق.
*دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة :للكاتب الناقد/ محمد حسن بريغش ، وهو كتاب جديد عن القصة الإسلامية المعاصرة تناول الكاتب فيه عدداً من القصص بالتحليل والنقد، ويـضــم الكتاب أربعة فصول: الأول يتحدث عن ملامح القصة الإسلامية الحديثة ، وفي الثاني يعرض لسبع قصص من إنتاج الدكتور نجيب الكيلاني ، فيحللها وينقدها من خلال رؤية إسلامية لهذا الفن القصصي ، وهذه القصص التي عرضت في هذا الفصل تمثل ثلاثة عقود من

تطور الكيلاني وإنتاجه. وفي الفصل الثالث عرض الكاتب آخر انتاج الكيلاني ، متمثلاً فـي المجمـوعـة القصصية (الكابوس) ورواية (ملكة العنب) ، وانتهى إلى أن هذه القصص مع ثلاث قصص أخرى تعد نقلة مهمة ومرحلة جديدة في مسيرة الدكتور الكيلاني الأدبية، ومسيرة القصة الإسلامية المعاصرة ، وفي الفصل الرابع حلل المؤلف كتاب الدكتور نجيب الكيلاني عن المسرح الإسلامي ، وتوقف عن العديد من الآراء والنظريات المطروحة في هذا الكتاب ، والكتاب نقد تطبيقي من خلال رؤية إسلامية تحاول ترسيخ قواعد للنقد الإسلامي وتحديد ملامح هذا الفن عبر التجارب الأدبية ، والإبداع الجديد ، بعد أن كثر الحديث عن النظرية والملامح بعيداً عن المجال التطبيقي

@من ثمار المنتدى

أنشـطة المنتـدى الإسـلامي

الـتـحـريـر

سـبق الحديث عن بعض مشاريع »المنتدى الإسلامي« مثل: »كفالة الدعاة، وبـرنـامـج شـهر رمـضـان الـمـاضـي ، ومشروع مكافحة العمى بدولة تشاد ، والدورات والملتقيات العلمية للمنتدى ، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم« ، وفي هذا العدد نواصل الحديث عن مزيد من المشاريع كما يلي: الـبـيـان

سادساً مشروع مكتبة إسلامية:

الكتاب الإسلامي له دور كبير في نشر الوعي العلمي ، ونشر العقيدة الصحيحة بين أبناء المسلمين، ويفتقر الكثيرون إلى الكتاب الإسلامي افتقاراً شديداً ، وهو لا يوجد في الغالب إلا بأيدي الطلاب الخريجين من الجامعات الإسلامية،أما عامة الدعاة وطلاب العلم فلا يجدون المراجع الإسلامية التي يحتاجون إليها في معرفــة عقــائد الإسلام ، والعبادات والمعاملات الشرعية.
وفي المقابل ينتشر الكتاب الصوفي بين أيدي الناس،فكتب المدائح النبوية والأوراد الصوفية متداولة بشكل واسع.
ومن أجل ذلك يسعى المنتدى الإسلامي إلى تجهيز مـكـتـبـات إسلامية عامة تحتوي على المراجع العلمية الأساسية في مختلف العلوم الإسلامية ، وذلك لـتـقـريـب العلم بين أيدي الدعاة وتسهيل الوصول إلى المعارف الشرعية الأصلية.
وقد أعدت اللجنة العلمية بالمنتدى ثلاثة نماذج للمكتبات العلمية:
الإول: مكتبة إسلامية كبيرة: توضع في المدن الرئيسة وفي أماكن التجمع الكبيرة للدعاة.
الثاني: مكتبة إسلامية متوسطة: توضع في المدن الصغيرة والجوامع.
الثالث: مكتبة إسلامية صغيرة: توضع في المساجد والمدارس.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وتم انتقاء الكتب بناء على الاحتياجات الأساسية للدعاة في كثير من البلاد، وعرضت قوائم الكتب على عدد من العلماء وطلاب العلم لإبداء الرأي وإعـطــاء الـمـشورة، فرأوا مناسبتها.
ويعين المنتدى الإسـلامي مشـرفاً على كل مكتبـة من هـذه المكتبات للحفاظ عـلى الـمكتبة من جهة ، ولإعانة القراء وإرشادهم من جهة أخرى.
تكلفة المكتبة الكبيرة: 12ر000 دولار
تكلفة المكتبة المتوسطة: 3ر500 دولار
تكلفة المكتبة الصغيرة: 1ر750 دولار
وتشمل التكلفة: قيمة الكتب ، ومتوسط قيمة الشحن ، وإيجار المقر لمدة سنة وتأثيثه.

سابعاً مكتبة طالب علم:

العلم الشـرعــي مطلب مهم من المطالب التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية قال الله تعالى: ((فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك)) ، فبدأ بالعلم قبل العمل ، وقد سن رسول الله -صلى الله علـيـه وسـلـم- هذه السنة وأمر بها جميع أتباعه ، قال الله تعالى: ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)).
فالعلم الصحيح هو الذي ينير الطريق أمام الداعية ، فلا يدعو الناس إلا بمقتضى الحجة والبرهان ، وذلك يعينه في معرفة أدواء الناس ومشكلاتهم ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يرتب الأولويات التي يبدأ بها بناءاً على ذلك.
ويحرص المنتدى الإسلامـي عــلــى تعيين الدعاة الذين يتوسم فيهم الخير والصلاح ، مع صفاء العقيدة وحسن السلوك ، والعلم هو جماع ذلك كله ولكن بسبب الضعف العام الذي يعانيه كثير من الدعاة في أفريقيا وغـيـرهـا لغياب العلماء وقلة المراجع العلمية لزم تنمية قدرات الدعاة العلمية ، ورفع مستوياتهم الثقافية ، ومن أجل ذلك يقدم المنتدى الإسلامي برامج متنوعة لهم منها: توفير مكتبة منتخبة لكل داعية من دعاته التابعين له، بالإضافة إلى بعض الدعاة الذين يتوسم فيهم الخير والصلاح والجدية ، وقد راعينا في اختيار هذه المكتبة عوامل مختلفة منها:
1 -أن تكون هذه المكتبة شاملة لمعظم أبواب العلم ، جامعة لأهم الأصول التي يحتاج إليها الدعاة.
2 -أن تلائم الاحتياجات الدعوية في المنطقة.
3 -أن تكون سهلة العبارة سلسة العرض.
ولكي يكون الاختيار أكثر دقة وأبلغ فائدة وضعنا قائمتين: الأولـى للدعاة الجامعيين، والثانية للدعاة غير الجامعيين.
وقد تم عرضهما على عدد من العلماء الفضلاء للاستفادة من توجيهاتهم وملحوظاتهم ، وإليك بيانهما:

أولا دعاة غير جامعيين:

1- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.
2- أعلام السنة المنشورة (للحكمي).
3- تفسير السعدي.
4- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (للبسام).
5- صفة صلاة النبي -صلى الله عليه وسلم- (للألباني).
6- الرحيق المختوم (للمبار كفوري).
7- مختصر منهاج القاصدين (للقاسمي).
8- فضائح الصوفية (لعبد الرحمن عبدالخالق).

ثانياً دعاة جامعيون:

1- شرح العقيدة الواسطية (للرشيد).
2- أعلام السنة المنشورة (للحكمي).
3- فتح رب البرية بتلخيص الحموية (لابن عثيمين).
4- تفسير السعدي.
5- فقه السنة (لسيد سابق).
6- تمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة (الألباني).
7- الرحيق المختوم (للمبار كفوري).
8- معالم الانطلاقة الكبرى (محمد عبدالهادي المصري).
9- أصول الدعوة (لعبد الكريم زيدان).
10- تهذيب مدارج السالكين (لابن القيم / العزي).
11- الموجز في الفرق والأديان (العقل والقفاري).

تكلفة مكتبة طالب علم (مع الشحن):

أولاً: مكتبة طالب علم غير جامعي: 50 دولار
ثانياً: مكتبة طالب علم جامعي: 60 دولار.

الـورقـة الأخـيـرة

ثـمـن الكرسـي

أحـمـد الـعـويـمـر

في كل دول الدنيا،يرشح الوزير لمؤهلاته العلمية، ولتجربته العملية ليتمكن من إداء رسالته على الوجه المطلوب،انطلاقاً من إيمانه بالأيدلوجية العقدية والفكرية التي تدين بها أمته، غير أن جل ديار العرب والـمـسـلمين في هذا الزمان عندما يرشح الوزير فيها إنما يعود أمر ترشيحه إما لصلة حزبية أو لنزعــة عشـائـريـــة أو لصداقة خاصة أو لترشيح الحزب ذي الأغلبية ، فهي في الغالب معايير لا تمت للعلـمـيـة بـصلة ولا للمعرفة العملية بأي رابطة.

ولذلك ستكون عطاءات وزارة (سعادته) إن وجدت راجعة في الغالب على ما بناه سابقه ، وقد يتهور بنصيحة بعض المستشارين إياهم فيهدم ما بناه سلفه وتعود الأمور »حيص بيص«، وفي النهاية إما أن يقال الوزير أو تقال الوزارة لفشلهما في أداء ما هو مناط بهما من مهام.

وفي أثناء ممارسة سعادته لمهام وزارته فإن عليه شروطاً يلزمه أن ينفذها ثمناً لبقائه في الكرسي ، ومنها:

*الثناء المنقطع النظير للمعطيات التي جاء بها الزعيم الهمام والتي انتشل بها البلاد وساهم في تطورها والتي لم يأت بها سواه، وتلك المعطيات سيستمر المديح لها حتى ولو لم يرها الشعب.

*الدعوة لإعادة ترشيح الزعيم لأن البلد لم تنجب مثله ولن تنجب غيره وعليه البقاء في الحكم حتى تقبض روحه أوأن يطاح به.

*الدعوة بمناسبة وبغير مناسبة لعلمنة المجتمع: ليس بفصل الدين عن السياسة ، وإنما لفصل الدين عن الحياة.

*المعارضون في نظره ليسو سوى شلل وغوغاء لا يعرفون (ألف باء) السياسة ، ولو أتيح لهم المجال لأودوا بالبلاد إلى الخراب والدمار وعليهم أن يعيشوا على هامش الحياة إن لم يكونوا في غياهب السجون إن لم يكونوا على أعواد المشانق.

*أن أسلمة المجتمع تخلف ورجعية وأن الدعاة لذلك متطرفون وإرهابيون وأن على المجتمع وفئاته أن يعيشوا حياة ليبرالية لا تقيم لثوابت الدين أي احترام ، بل وعلى الحكومة أن تتخذ من البرامج والخطط ما يجفف منابع الإسلام خوفاً من نشوء الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى.

إن لم يؤمن الوزير بهذه »الأفكار المتطرفة« ويعمل جاهداً على تنفيذها فإن بقاءه في كرسيه مشكوك فيه.

قولوا لي بربكم: هل هذه الأفكار أساليب عمار أم أساليب دمار؟ وهل أولئك الذين يدعون لتلك السياسات الخرقاء بناة أم هدامون؟ وهل هم مسلمون حقاً أم أنهم أدعياء ومنافقون لأنهم لا يقيمون للدين وزنا؟ وهل تستطيع مثل تلك الدول أن تسير إلى الأمام أم ستسير إلى الهاوية؟

قاتل الله اليهود فتلك مخططاتهم ، وقاتل الله من سار على نهجهم ما أجهلهم ، والله نسأل أن يرى العاملين للحق ما تقر به العيون وما تصلح به الأحوال، رغم كل المعوقات، وأن يخزي أعداء الإسلام وأن يريهم نهايات باطلهم المحتومة.

((ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)) .

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين